التَّرَقُّبُ في القُرآنِ الكَريمِ (استِعمالاتُهُ- مُناسَباتُهُ- فَوائِدُهُ التَّربويّةِ والإيمانيّةِ)

أ.م.د. حسان علي عبد محل الفراجي
كلية الآداب – جامعة الأنبار

الكلمات المفتاحية: الترقب، الاستعمالات، المناسبات

الملخص:

فِكرةُ البحثِ تتمحورُ حول دراسة مفردة "التَّرَقُّبِ" في القرآن الكريم، وتحليل معانيها واستخداماتها المختلفة؛ يهدف البحث إلى إبراز جمال وأسرار هذه الكلمة التي قد تكون غامضة أحيانًا، حيث أظهرت الدراسة أن القرآن استخدمها في سياقات مُتعدِّدَةٍ، مثل: الزّجرِ والتّهديدِ، واللوم، وتحسُّسِ الأخبار، والانتظار، كما كانت أداة للتوجيه الإيمانيّ والتّربويّ، مِمّا يُعَزِّزُ تأثيرها في تشكيل شخصية المؤمن وسلوكه.

اَلْمُقدِّمَةُ:

إنَّ التَّرَقُّبَ في القُرآنِ الكَريمِ مِن المَوْضُوعَاتِ ذاتِ الأَهميّةِ البالغةِ؛ لأنّهُ يُطلِعَنا على أسرارٍ جَديدةٍ من عجائبِ القُرآنِ الكَريمِ الذي لا تنقضي عجائبه على مَرَّ الأيام وكرّ الدهور والعصور، حيث أنَّ القرآن الكريم لا يستعمل مفردة إلّا في موضعها الصحيح الذي لا تنوب عنه كلمة أخرى، وإنَّ الترقب في القرآن الكريم ليس مجرد انتظار أمرٍ جامدٍ لا فائدة فيه؛ بل هو أداة تفاعلية لتحفيز النفس البشريّة وتوجيهها نحو غاياتٍ إيمانية وسلوكيّة، فيجعلها توازن بين الخوف والرَّجاء، مِمّا يجعل الإنسان متوجهًا إلى التفكير في العواقب وتقدير المآلات. وحينما شرعتُ بجمع ألفاظ الترقب في القرآن الكريم، وجدتها مُستعملةٌ في معاني الخير والشر؛ على حدٍ سواءٍ، وكثيرًا ما تأتي لفظة الترقب في معنى انتظار المكروه؛ لغرض زيادة التهديد والتوبيخ، وتخرج إلى معاني أخرى، يحددها السِّياق القرآني، وهناك مناسبات كثيرة للنصوص الواردة فيها تلك اللفظةِ، فضلًا عن فوائدها الجليلة التي تتطلب البيان والتوضيح؛ لذلك شمرت عن ساعدِ الجدِّ؛ للبحثِ عن تلك المعاني في القرآن الكريم واستعمالاتها ومناسباتها واستنباط فوائدها الإيمانيّةِ والتّربويّةِ والدُّروسِ المُستفادة من استعمالاتها المُتعددةِ.

دوافع اختيار البحث:

يعود اختياري لهذا الموضوع لجملةِ أسبابٍ، منها:

1. إنَّ ألفاظ التَّرَقُّبَ لم يفردها أحدٌ بالبحث المُباشر؛ إنما تناولها المُفسرون والكاتبون بالبيان كبقية الآيات من غير تخصيص، فرأيت أن أُحْرِزَ شرف الكتابة فيها، ولا شك أنَّ أشرفَ

صناعةٍ يمارسها المُسلِمَ هي تفسير كتاب الله –عزّ وجلَّ-؛ لأنّها من أشرف الصِّناعات، كما ذكر المتقدمون.

2. لا شك أنَّ التَّرَقُّبَ من الألفاظ التي لها صلة بالانتظار، وتوقّع حصول أمرٍ ما محتمل، وهذا المعنى اللغوي متفقٌ عليه عند أهل اللغة، لكنَّ المعنى في القرآن الكريم أعمق وأشمل من هذا المعنى اللغوي الذي يكاد يكون محدوداً في اللغة، فكان لا بدَّ من إجالة النظر في القرآن الكريم؛ لإبراز المعاني الأخرى لهذه المفردة الجميلة.
3. توجيه القلوب نحو كتاب الله -تعالى- والنظر في مفرداته كوحدة موضوعية عامّةٍ متصلةٍ لا كمفرداتٍ منفصلةٍ ومقطوعةٍ عن الوحدةِ الموضوعيةِ العامّةِ للموضوع.

أهداف الموضوع:

الأهداف المنشودة من هذا البحث كثيرة، أهمها ما يأتي:

1. الكشف عن ألفاظ التَّرَقُّبِ في القرآن الكريم، ومعرفة استعمالاتها ومناسباتها وفوائدها؛ الإيمانيّةِ والتّربويّةِ؛ ليكون المُسلم أكثر دراية بمدلولات الألفاظ القرآنية وفقًا للسياق.
2. فهم كلام الله –عَزَّ وَجَلَّ- فهماً يليق بمكانة القرآن الكريم، والله-سبحانه- يسّرَ القرآن وجعله في مُتناول الجميع، فقال:{وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ}[1]، فكل إنسان يمكنه نيل حظه من فهم القرآن الكريم؛ لفسحة التأمل الكبيرة فيه.
3. تدَبُّرُ مُفرَدَةٍ مُهمةٍ في القرآن الكريم، وربنا دعانا إلى تدبُّرِ ألفاظهِ ومعانيهِ، فقال:{أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا}[2]، ولا شك أنَّ التَّرَقُّبَ يدخل ضمن الأمر بالتّدبُّرِ.
4. كما أنَّ التَّرَقُّبَ يعكس عمق الصِّلة بين العبد وربه، سواءً في انتظار الخير أو التحذير من الشّر.
5. الاطلاع على مواضع اتفاق واختلاف المفسرين مع بيان الراجح منها وفقًا لقواعد الترجيح المعروفة.

إشكالية البحث:

ما الألفاظ والمفردات التي تعبر عن الترقب في القرآن الكريم؟ وكيف تم توظيف الترقب في سياقات قرآنية متنوعة؟ وما هي الفوائد التربوية والإيمانية التي يمكن استنتاجها من مفهوم الترقب في النص القرآني؟ وما هي استعمالاته ومناسباته المختلفة؟

خطة البحث:

استُهِلَ البحثُ بُمقَدّمَةٍ يسيرةٍ تضمنت سببَ اختيارَ الموضوع ومدى أهميته وخطته، وتتطلب البحث أن يُقسم على أربعة مباحث، أمّا المبحث الأول، فقد جعلته مدخلًا إلى مفهوم الترقب والألفاظ ذات الصّلة، وتطلب الحديث عن هاتين المسألتين في مطلبين مستقلين: الأول منهما: في بيان مفهوم التّرقّبِ عند أرباب اللغة والتفسير، والآخر: في الألفاظ ذات الصّلة. وأمّا المبحث الثاني، فقد خصصته للحديث عن التَّرقُّبِ التوبيخي والتحذيري، واقتضى أن يفرد له مطلبين مستقلين أيضًا، الأول منهما: في ترقب التوبيخ والتحريض، والآخر: في تَرقُّبِ الخوف وتحسس الأخبار. وأمّا المبحث الثالث، فقد كرسته لبيان ترقب الخوف وتحسس الأخبار. وأمّا المبحث الرابع، فقد خصصته للحديث عن ترقب الغيب والانتظار، واقتضى أن يقسم إلى مطالب ثلاثة مستقلة، الأول منها، في ترقب الحفظ والانتظار، والثاني: في ترقب الأوقات الفائتة او المنتظرة، والثالث: في تَرقُّبِ الإمهال الاختباري. وخاتمة، وقائمة في مصادر ومراجع.

وفي الختام، أسألُ اللهَ –تعالى- التّوفيق والسَّداد والعصمة من الزَّيغ والزَّلل.

المبحث الأول

مدخل إلى مفهوم الترقب والألفاظ ذات الصلة

المطلب الأول: مفهوم التَّرَقُّبَ عند أرباب اللغة والتفسير

التَّرَقُّبُ في اللغة: يأتي من الفعل: (رقب) وله معاني كثيرة، أشهرها: الانتظار، قال الله –تعالى-:{ولم تَرْقُبْ قَوْلِي}[3]، أيْ: لم تَنتَظِرْ قولي، قال ابن منظور: "التَّرَقُّبُ تَنَظُّرُ وتَوَقُّعُ شيءٍ"[4]، ويعني انتظار حدوث أمر معين بحذرٍ واهتمامٍ، وأوضح ابن فارس الأصل اللغوي لهذه الكلمة بقوله: "الراءُ والقافُ والباءُ أصلٌ واحدٌ مطّرد، يدلّ على انتصابٍ لمراعاةِ شيءٍ"[5]، والرقيبُ: الحافظُ الذي لا يَغيبُ عنه شيءٌ ... والمُنْتَظِرُ، تقول: رقبت الشيء، إذا رَصَدْتَهُ[6].

وورد اسم "الرقيب" في القرآن الكريم في عدة آيات، مثل: قوله –تعالى-: {إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا}[7]، وقوله: {فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ}[8]، وكذلك قوله: {وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا}[9]، وكلّها من أسماء الله الحسنى المُباركة، إذ إنَّ أصلُ المُراقبة: المُراعاة، أيْ: كان اللهُ الحافظَ لهم، والعالم بهم، والشّاهد عليهم[10]، وَوَصَفَ اللهُ –تعالى- المَلَكُ المُوكلَ بحفظِ ورصدِ أقوال العباد بوصف: رقيب، فقال: {مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ}[11]، أيْ: ما يتكلّم من كلام فيلفِظُهُ ويرميهِ من فيه إلّا لديه أي: على ذلك اللافظ رقيبٌ، أيْ: مَلَكٌ يَرقُبُ قولهُ ويكتبُهُ، والرقيبُ: الحافِظُ المتتبّعُ لأمورِ الإنسانِ الذي يكتُبُ ما يقولُهُ من خيرٍ وشر، فكاتبُ الخيرِ هو

ملكُ اليمينِ، وكاتبُ الشَّرِّ ملكُ الشمالِ، والعتيدُ: الحاضِرُ المُهيَّأُ[12]، وَاخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ: هَلْ يَكْتُبُ الْمَلَكُ كُلَّ شَيْءٍ مِنَ الْكَلَامِ؟ وَهُوَ قَوْلُ الْحَسَنِ وقَتَادَةَ، أَوْ إِنَّمَا يَكْتُبُ مَا فِيهِ ثَوَابٌ وَعِقَابٌ كَمَا هُوَ قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَلَى قَوْلَيْنِ، وَظَاهِرُ الْآيَةِ الْأَوَّلُ، لِعُمُومِ قَوْلِهِ[13]: {مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ}[14]، قَالَ الْحَسَنُ: "يَكْتُبَانِ كُلَّ مَا صَدَرَ مِنَ الْعَبْدِ"[15]، وقَالَ مُجَاهِدٌ وَأَبُو الْجَوْزَاءِ: "حَتَّى أَنِينَهُ فِي مَرَضِهِ"[16].

فالتَّرَقُّبُ إذن، من صيغ المبالغة التي تحمل في معناها التكرار والمبالغة في الفعل، إذ يأتي على وزن "تفعُّل" مثل "ترصُّد" و"تقلّب"، مما يعكس دلالة الاستمرار في الرصد والانتظار بدقة وعناية. وفي القرآن الكريم، يشير هذا المفهوم إلى مراقبة الله المستمرة للإنسان في كل ما يصدر عنه من قول أو فعل، بما في ذلك نواياه وأسراره. فالتَّرَقُّبُ ليس مجرد انتظار لحظة أو حدث معين، بل هو حالة شاملة ودائمة من المراقبة التي تشمل جميع تفاصيل حياة الإنسان، إذ يعلم الله ما في القلوب وما تخفيه الصدور، سواء كان ظاهرًا أو خفيًا، صغيرًا كان أو كبيرًا.

هذا المعنى يحث المؤمنين على الوعي الدائم في كل قول وفعل، إذ يعلمون أن الله يراقبهم في كل لحظة، فالتَّرَقُّب الإلهي يجعل الإنسان في حالة من التحسب المستمر، مِمّا يعزز فيه الشعور بالمسؤولية والحذر في تصرفاته وكلماته. ومن ثمَّ، يعيش المؤمن وهو مدرك تمامًا أن الله لا يخفى عليه شيء، مِمّا يوجهه نحو حياة مليئة بالمسؤولية والمراقبة الذاتية.

إذن، يشمل التَّرَقُّب في القرآن مراقبة الله للأعمال والأقوال والنوايا، مِمّا يحفز المؤمن على اليقظة المستمرة، ويشجعه على تجنب المعاصي، فهو ليس مجرد انتظار، بل استعداد دائم يعزز الإيمان ويشعر الفرد بالمسؤولية تجاه أفعاله، مِمّا يساعده على التوازن بين الأمل والخوف من الله ويعيش حياة واعية ومتحفظة.

المطلب الثاني: الألفاظ ذات الصِّلة

وردت في القرآن الكريم ألفاظ تتصل بالتّرقّبِ، أشير إليها بشكل عابر في هذا المطلب؛ لاحتوائها على دلالاتٍ بلاغيةٍ ومعانٍ تربويةٍ وإيمانيةٍ، ومن أبرز هذه الألفاظ:

1. الانتظار: الانتظار في القرآن يرتبط بالترقب المصحوب بالتهديد، كما في تهديد هود وقوله: {فَانْتَظِرُوا}[17]، وأيضًا على لسان النبي محمد -ﷺ- وكفار مكة، وفي موضع آخر: {فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ}[18].

2. التّحسُّسُ: ورد التحسُّسُ في القرآن للدلالة على الترقب الحذر، كما في قول نبي الله يعقوب لأبنائه: {يَابَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ}[19]، حيث حثهم على السعي وعدم اليأس مع التوكل على الله.
3. التّربُصُ: التّربصُ في القرآن يشير إلى فترة الانتظار المفروضة على المرأة في حالات مثل العدة بعد الطلاق أو وفاة الزوج، كما في قوله تعالى: {وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ}[20] و{وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ}[21]، هذه الفترة تتيح الراحة والتأمل، والتأكد من عدم وجود حمل، مع الحفاظ على الحقوق الشرعية.
4. التّرصُدُ: جاء التّرصُد في القرآن بمعنيين: الأول: الحفظ والمراقبة، كما في وصف الجنّ وحماية الرسول -ﷺ-، الثاني: الموضع المعد للترقب، كما في قوله: {إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا}[22]، "فَجَهَنَّمُ مُعَدَّةٌ مُتَرَصِّدَةٌ، مُتَفَعِّلٌ مِنَ الرَّصَدِ وَهُوَ التَّرَقُّبُ، أَيْ هِيَ مُتَطَلِّعَةٌ لِمَنْ يَأْتِي"[23]، فهذه الألفاظ الأربعة تُعبّرُ جميعها عن أشكال التّرقّبِ في القرآن مِمَّا يُبرِزُ دقَّةَ اختيارِ الألفاظِ.

المبحث الثاني: التّرقُّبُ التّوبيخيُّ والتَّحذِيريُّ

توطئة:

أعْرِضُ في هذا المبحث-بعون الله وتوفيقه- ما أسميته الترقب التوبيخي والتحذيري، ولعلّ سائل يسأل: لماذا اخترت هذه التسمية وما مصدرها؟ جوابه: لم ينص القرآن الكريم على هذه التّسميّة بشكلٍ مُباشرٍ، ولكن دلالات مفردات الترقب في آياته تشير إلى هذا المعنى، خاصّة ما يتعلق بالترقب التوبيخي والإنكاري المتعلق بالمشركين الذين نقضوا عهودهم ومواثيقهم؛ لتحذير المؤمنين منهم ودعوتهم إلى عدم الوثوق بحلفائهم، فهؤلاء لا يراعون العهود ولا الأمانات، كما يتضمن هذا المفهوم ترقب التحذير الشديد للمخالفين الذين أصرّوا على الاستهزاء بنبي الله شعيب -عليه السّلام- لهذا، سيتم تناول هذه القضايا في مطلبين منفصلين:

المطلب الأول: ترقب التوبيخ والتحريض

استعمل القرآن الكريم التَّرَقُّبَ في توبيخ المشركين الناقضين عهودهم ومواثيقهم، وتحريض المؤمنين على مُعاداةِ المُشركينَ وَالتَّبرّي منهم؛ لشركهم بالله وكفرهم برسوله[24]، فقال: {كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ}[25]، "وأصلُ الرُّقُوبِ النَّظر بطريق الحفظ والرِّعاية، ومنه: الرَّقيب، ثمَّ استُعمِل في مطلق الرِّعاية"[26]، ومناسبة ورود النَّصِّ في هذا الموضع: الإنكار على المشركين غير المستثنين

عهودهم، مع بيان السَّببِ الموجبِ لذلك الإنكار[27]، وإنَّ الناظر في الآية يجد استفهامًا بمعنى الإنكار والاستبعاد، ولا يجد المستفهم عنه؛ لأنّه محذوفٌ مُقدّرٌ: بكيف لا تقتلونهم ؟ وقيل: كيف يكون لهم عهد؟[28] ومعنى: "لَا يَرْقُبُوا"،أي: لا يوفوا ولا يراعوا، يقال: رقَب الشيء، إذا نظر إليه نظر تعهّد ومراعاة، ومنه سمّي الرقيب، وسمّي المرْقَبَ مكان الحراسة، وقد أطلق هنا على المراعاة والوفاء بالعهد؛ لأنّ من أبطل العمل بشيءٍ، فكأنّه لم يَره وصرف نظرَهُ عنه[29]، وعلّة البراة من المشركين -في هذا النص- سببها عدم مراعاتهم العهود والأحلاف، والمراد من المشركين هنا: الناكثون للعهد؛ لأنَّ البراءة إنما هي في شأنهم، وتأريخ المشركين مع المسلمين كله نكثٌ للأيمان ونقضٌ للعهود وهكذا هم في كل زمانٍ ومكانٍ[30].

ولمّا أخبر اللهُ–تعالى- بعراقتهم في الفسق، دلَّ عليه بأن خيانتهم ليست خاصة بالمخاطبين، بل عامة لكل من اتصف بصفتهم من الإيمان[31]، وكرّرَ الارتقاب في قوله –تعالى-: {لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ}[32]. وثمرة تكراره: أنَّ الأولَ وقع جوابًا لقوله:{وإِنْ يَظْهَرُوا} أي الكفار، والثاني: وقع إخبارًا عن تقبيح حالهم[33]، لذلك حَرّضَ الله المؤمنين على قتال الناكثين أيمانهم، بقوله:{ أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ}[34]؛ لأنَّ النكث وصفٌ مُوجِبٌ لقتالهم، إذ عبر عن نكث الإيمان بنكث الغزل، يقال: نكث العهد ينكثه نكثًا، أيْ: نقضَهُ بعد إحكامهِ... كَمَا تُنْكَث خيوطُ الصُّوفِ الْمَغْزُولِ بَعْدَ إِبْرامه[35]، وللمفسرين في المراد بقوله –تعالى- : {لَا يَرْقُبُونَ} اتجاهان: أولهما: المشركون، وثانيهما: طَائِفَةٌ مِنَ الْيَهُودِ أَعَانُوا الْمُشْرِكِينَ عَلَى نَقْضِ تِلْكَ الْعُهُودِ، ورجح الفخر الرازي الثاني بقوله:" وَلَوْ كَانَ الْمُرَادُ مِنْهُ الْمُشْرِكِينَ لَكَانَ هَذَا تِكْرَارًا مَحْضًا، وَلَوْ كَانَ الْمُرَادُ مِنْهُ الْيَهُودَ لَمْ يَكُنْ هَذَا تِكْرَارًا، فَكَانَ ذَلِكَ أَوْلَى"[36]، قَالَ النَّحّاسُ: "ليس هذا تكريرًا، ولكن الأول: لجميع المشركين، والثاني: لليهود خاصة، والدّليل على هذا، قوله: {اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا}[37]، يعني: اليهود"[38]، ولم ير أبو السعود العمادي وأبو الثناء الآلوسي التكرار هاهنا؛ لأنَّ الآية نعي عليهم في عدمَ مراعاةِ حُقُوقِ عَهدِ المؤمنينَ على الإطلاق[39]، وَنَصَرَ هذا التوجّه: محمد سيد طنطاوي، حيث بيّن إنَّ عداوة هؤلاء المشركين ليست خاصة بالمؤمنين الذين يقيمون معهم، وإنّما هي عداوةٌ عامةٌ شاملةٌ لكل مؤمن مهما تباعد عنهم؛ لأنّها شملت كل مؤمن مهما كان موضعه، فهي أعم من الآية السابقة المخاطبة للمؤمنين الذين كان بينهم وبين المشركين الكثير من الحروب والدماء[40]، إذن، ليس في الكلام تكرير؛ لأنَّ الأولَ مناسبته في المشركين والكافرين فهو عام في الفريقين، أمّا الثاني فهو يشمل اليهود الذين اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا خاصّة.

ومن فوائدِ التَّرقُّبِ الإيمانيّةِ والتّربويّةِ في الآيتين المتقدمتين:

1. أنَّ فيهما إظهارًا لطبيعة الكافرين المعادية للإيمان، من حيث أنهم لا يراعون العقود والعهود في تعاملاتهم مع المؤمنين، ولا يقيمون وزنًا للقيم الإنسانية أو الدينية؛ وهذا كُلّه من أجل الكفر والصّدِ عن الإيمان، والغرض إظهار الوجه الحقيقي لأعداء الدين، وهو جزء من التربية القرآنية لتقوية العقيدة والوعي[41].
2. تحريض المؤمنينَ على البراءة من المشركين، كما ذكرنا؛ وتنبيههم إلى عدم الركون أو الوثوق بهم؛ لأنَّ من كان أسير الفرصة، مترقبًا لها، لا يُرجى منه دوام العهد[42].
3. الآيتان المتقدمتان تتضمنان تحذيرًا للمؤمنين من أن يأمنوا جانب المشركين، سواء أولئك الذين أظهروا غدرًا أو خيانة أو أولئك الذين لم يظهر منهم ذلك، ينبغي للمسلمين أن يكونوا حذرين منهم في جميع الأوقات، لأنَّ المشركين لا يرقبون فيهم لا عهدًا ولا ذمة، ومن الممكن أن يغدروا أو يخونوا في أي فرصة تسنح لهم، هذا التحذير يشمل جميع المشركين، حتى أولئك الذين قد يظهرون بوجه مقبول؛ لأنَّ وراء هذا الوجه قد يكون هناك نوايا خبيثة قد تؤدي إلى الخيانة والغدر في المستقبل[43].
4. وفيهما إخبارٌ عمّا تُكنُّهُ صدور الكافرين من معاداة المؤمنين وعدم احترامهم للعهود والأحلاف، وما يبطنونه من نية الغدر إن ظهروا على المسلمين، ممّا قامت عليه القرائن والأمارات، كما فعلت هوازن عقب فتح مكة، وفي إعادة الاستفهام إشعار بأنّ جملة الحال لها مزيد تعلّق بتوجّه الإنكار على دوام العهد للمشركين[44].
5. تعظيم شأن العهود والوفاء بها من أصول البر والإيمان في الإسلام، حيث يُعد الوفاء بالعهد من أساسيات البر ومقتضيات الإيمان، وهو ما يعزز الثقة بين أفراد المجتمع ويُرسخ القيم الأخلاقية فيه[45].
6. المبالغة في نفي الرقوب ما ليس في غيرهما، ولطافة ذكر الرُّقُوبِ مع الظهور، وهذا التعبير القرآني البليغ يلفت الأنظار إلى خطورة المشركين ويدفع المؤمنين للحيطة[46].
7. في الآيتين، يوجد ذم واضح لقطيعة الرحم ونقض الذمة، وهما من الصفات السلبية التي يتصف بها الكافرون، فالإسلام يدعو إلى صلة الأرحام والوفاء بالعهد والذمة، وهما من أرقى القيم التي تساهم في بناء المجتمع. وعليه، فإن قطيعة الرحم ونقض الذمة يمثلان سلوكًا مخالفًا لمبادئ الإيمان، ويعكسان عدم الوفاء بالحقوق والواجبات[47].

8. حمل الإمام الزمخشري الآيتين على معنى الاستنكار والاستبعاد، حيث يستحيل أن يكون للمشركين عهد مع رسول الله -ﷺ-، فهم أعداء لله ورسوله وقلوبهم مليئة بالحقد. ومن هنا، لا ينبغي للمؤمنين أن يطمعوا في ذلك أو يفكروا في قتلهم، بل يجب التوكل على الله في حال نقض العهود، فهو الملاذ الوحيد للمؤمنين في مواجهة المخاطر[48].

المطلب الثاني: ترقب التحذير وانتظار العاقبة

استَعْمَلَ نبيُّ اللهِ شعيبٌ –عليه السّلام-: التَّرقُبَ مع قومه مَدْيَنَ[49]، في معنى التحذير وانتظار العاقبة، وعلى ما يبدو أنه الاستعمال الأشهر في القرآن الكريم، والغرض منه: زيادة التوبيخ والتّهديد الشّديد لقومه، فقال على لسان ربه -جلّ جلاله-: {وَيَاقَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ}[50]، وهذه الكلمات قالها نبيُّ الله شعيبٌ–عليه السَّلام- لمّا يئسَ من استجابة قومه لدعوته، حيث كانوا يخيفون المارة ويقطعون الطريق، ويفعلون الأمور الشنيعة والتي منها: عبادة الأيكة، والتطفيف بالمكيال والميزان، ولقد جاء النظم القرآني بلفظ "رَقِيبٌ" بدلًا من "مُرْتَقِبٌ"، الذي كان يقتضيه السياق، ليدل على أن شعيبًا -عليه السلام- كان في موقع يشرف منه على قومه، فيحذرهم ويراقبهم عن كثب، هذا التعبير يُظهر أن شعيبًا كان في مكان عالٍ، يشبه القاضي الذي يقف على منصة القضاء، يراقب سير الأمور ويحكم بما يراه من عدل، وبذلك، يبين القرآن كيف أن شعيبًا كان شاهدًا ومراقبًا لما سيحدث لهم، كالرقيب الذي يشرف على تنفيذ الحكم، بينما كان قومه في وضع هابط، ينتظرون العذاب المهين الذي كان قد وعدهم به[51].

والرَّقيبُ هنا: بمعنى الرَّاقبِ فعيلٌ للمُبالغةِ، أو بمعنى: المُراقِبْ، كالعشير والجليس، أو بمعنى المُرتقبِ، كالفقير والرفيع بمعنى المُفتقرِ والمرتفعِ[52]، ويرى الإمامُ الطبريُّ أنَّ قوله –تعالى-: {وَارْتَقِبُوا}، أيْ: انْتَظِرُوا وَتَفَقَّدُوا مِنَ الرِّقْبَةِ، يُقَالُ مِنْهُ: رَقَبْتُ فُلَانًا أَرْقُبُهُ رِقْبَةً. وَقَوْلُهُ: {إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ} يعني: ذُو رِقْبَةٍ لِذَلِكَ الْعَذَابِ مَعَكُمْ، وَنَاظِرٌ إِلَيْهِ بِمَنْ هُوَ نَازِلٌ مِنَّا وَمِنْكُمْ[53]، وعن ابن عباس، قوله: "ارتقبوا العذاب، فإني أرتقب الثواب"[54]، بمعنى أنَّ الأولى خاصّة للكافرين وفيها التهديد بالعذاب، والثانية فهي خاصّة بشعيب -عليه السّلام- وهو يرتقب الثواب من الله -جلَّ وعلا- وتهديد شعيب–عليه السّلام- لقومه، يوحي بثقة المصير، كما يوحي بالمفاصلة وافتراق الطريق، بينه وبين قومه[55]،ولم يطل انتظار شعيب- عليه السَّلام- ومراقبته لما يحدث لقومه، بل جاء عقاب الله- تعالى- لهم بسرعة وحسم، بعد أن لجوا في طغيانهم[56] فجمع الله لهم صنوفًا من العذاب تتناسب مع صنوف أفعالهم القبيحة، فأخذهم الله بيوم الظلة:{فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ

عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ}[57]، والرجفة:{فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ}[58]، والصيحة:{وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ..}[59].

ومن الفوائدِ الإيمانيّةِ والتّربويّةِ للأمر بالتَّرقُّبِ هنا:

1. التهديد الشديد للمخالفين والمعترضين على دعوته، وهو أسلوبٌ جديد استعمله شعيب -عليه السّلام- مع قومه يمتاز بالشِّدّةِ والصَّلابةِ، بعد أن استنفد جميع أساليب الترغيب والتوجيه مع قومه، التي كان أبرزها دعوته لهم لعبادة الله وحده، كما في قوله: {قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ}[60]، وتحذيره لهم من نقص المكاييل والموازين بقوله: {وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ}[61]، ودعوته لهم إلى الوفاء بالقسط وعدم الإفساد في الأرض كما في قوله: {وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ}[62]، إلا أن تلك الدعوات لم تجدِ نفعًا معهم، وهنا انتقل شعيب -عليه السلام- إلى أسلوب التهديد والتوبيخ، مُؤكدًا لهم أنهم سيتعرضون لعذاب الله إذا استمروا في عنادهم، قائلاً: {وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ}[63]، أجابهم مباشرة بـ {سَوْفَ تَعْلَمُونَ...} دون انتظار سؤالهم؛ لأنّ الاستئناف كان أولى في هذا السياق؛ لذا قارن الزمخشري بين هذه الآية وقوله –عزَّ وجَلّ-: {قُلْ يَاقَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ، مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ}[64]؛ بقوله: "فإن قلت: أي فرق بين إدخال الفاء ونزعها في {سَوْفَ تَعْلَمُونَ}؟ قلت: إدخال الفاء: وصل ظاهر بحرف موضوع للوصل، ونزعها: وصل خفي تقديريّ بالاستئناف الذي هو جواب لسؤالٍ مُقدّرٍ، كأنهم قالوا: فماذا يكون إذا عملنا نحن على مكانتنا وعملت أنت؟ فقال: سوف تعلمون، فوصل تارة بالفاء وتارة بالاستئناف، للتفنن في البلاغة كما هو عادة بلغاء العرب، وأقوى الوصلين وأبلغهما الاستئناف، وهو باب من أبواب علم البيان تتكاثر محاسنه"[65]، وإنَّ الدَّاعي إلى الإتيان بالأبلغ هنا ... أنَّ القومَ -قاتلهُمُ اللهُ تعَالَى- بالغوا في الاستهانة به -عليه السّلام- وبلغوا الغايةَ في ذلك، فناسَبَ أن يُبالِغَ لهم في التّهديد ويبلغ فيه الغاية، وإن كانوا في عدم الانتفاع كالأنعام، وما فيها نحو ذلك[66].

2. أكدت الآية الكريمة على أنَّ الله –سبحانه- هو الرّقِيبُ، والرّقيبُ هُنا بمعنى مُرَاقِبٍ، وهو ما يغرس في المؤمن شعورًا دائمًا بأنَّ الله يراقب كل ما يصدر عنه من أفعال وأقوال وأحوال، فلا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء[67].
3. إعلاء قيمة التوكل على الله تعالى يظهر بوضوح من خلال هذه اللفظة، التي تعزز في نفس المؤمن الثقة التامة بالله، وتربيه على أن يتوكل عليه في جميع أموره. التوكل هنا ليس مجرد الاعتماد الظاهري، بل هو اعتماد قلب وعقل، حيث يثق المؤمن بأن الله وحده هو القادر على تدبير شؤون حياته. وفي إضافة كلمة {مَعَكُمْ}، يُظهر النبي -ﷺ- كمال وثوقه وأتمّ الاعتماد على أمر الله، مما يرسخ في قلوب المؤمنين أن الله معهم في كل حال، يعينهم ويوفقهم، ويكفيهم شرور الدنيا وما فيها، هذه الإضافة تُظهر أن التوكل ليس مجرد فعل فردي، بل هو حالة من الارتباط المستمر بالله، وهي دعوة للمؤمنين للعيش في ظل توكل ثابت وأمل بالله العظيم[68].
4. الآية ترشد المؤمنين إلى أهمية الترقب والصبر في مختلف المواقف الحياتية، فتدعوهم إلى التفاعل مع الأحداث بروح من الهدوء والتأني، بعيدًا عن التسرع أو اليأس، حيث يرتبط الترقب هنا بالعمل الصالح واليقين الكامل بأنَّ الله سيمنح النصر والرحمة للمخلصين في وقتهم المناسب، كما كان الحال مع الأنبياء الذين صبروا على المحن والابتلاءات، وتحقق لهم النصر في النهاية. وفي المقابل، يكون الترقب عند الظالمين موجهًا نحو العذاب والسخط الإلهي، نتيجة لأعمالهم الفاسدة وانحرافاتهم، ليكون الترقب في حالتهم انتظارًا للعواقب الوخيمة التي تترتب على ظلمهم وفسادهم[69].
5. تحقق صدق شعيب -عليه السلام- في وعده لقومه، فقد كان قوله {وَارْتَقِبُوا} تحذيرًا وتأكيدًا على أنَّ ما وعدهم به من العذاب سيتحقق، فالانتظار هنا ليس انتظارًا سلبيًا، بل هو انتظار لظهور صدق شعيب فيما أخبر به، ثم جاء قوله تعالى: {وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنا نَجَّيْنا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا} ليؤكد صدق شعيب -عليه السلام- إذ جاء الأمر الإلهي بعذاب قومه الذين كذبوا به، فنجا شعيب والذين آمنوا معه برحمة الله، بينما حل العذاب بمن كذب برسالته[70].

المبحث الثالث : تَرقّبُ الخَوفِ وتحسُّسُ الأخبارِ

لمّا ذكر الباري- جلّت قُدرَتُهُ- القتالَ، وأتبعَهُ ما هو الأهم من أمره بالنظر إلى الآخرة، ذكر ما تسبب عنه من أحوال الدنيا[71]، فقال: {فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ

بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ}[72]، ولَمَّا قَتَلَ موسى-عليه السّلام- ذلك القبطيَّ -من غير قصدٍ- أصبح في مدينة فرعون خائفًا من جنايته التي جناها، وقتلهِ النفس التي قتلها أن يؤخذ فيقتل بها؛ فصار يترقب الأخبار، أيْ: يترصد أحاديث الناس، مِمّا هم صانعون في أمره وأمر قتيله[73]، ثمَّ خرج يسير في طرقات المدينة، يتحسّسُ أخبار الفعلة التي فعلها بالأمس خائفًا يترقب، وفي اليوم الثاني، وجد موسى-عليه السّلام- الرَّجُلَ العبراني نفسه الذي استغاث به سابقًا، يشتبك في شجار جديد مع مصري آخر، ويطلب المعونة من موسى، فلمّا رآه موسى على هذه الحال، قال له مغضبًا: {إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ}[74]، ومع هذا فقد أخذت موسى العاطفة للإسرائيلي؛ ليرفع عنه الظلم حسب زعمه، فلمّا أراد البطش بعدّوهما ظن الإسرائيلي أنَّ موسى يقصده بسوء[75]، فقال: {أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ}[76]، فَلَمَّا سمع القِبطيُّ تلك المقالة لقِفَها من فمه، ثمَّ ذهب بها إلى بابِ فرعون وألقاها عنده، فاشتدّ غضب فرعون على موسى وعزم على قتله، فطلبوه، فبعثوا وراءَهُ ليُحضِرُوهُ إلى فرعون[77]، وفي هذه اللحظة القاسية جاء رجلٌ من الأشراف يسكن في أطراف المدينة، وكان قد فتح الله قلبه للإيمان بموسى وبعقيدته، فأشار إليه بالخروج من مصر إلى أرض مدين، وقد وصف الله –تعالى- خروجه ذلك[78]، بقوله: {فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ}[79] وهو تصوير لما كان يلبس موسى من خوف واضطراب، حيث كان يتطلّع إلى وجوه الناس، ويستقريء ما قد تكون تركت عليها الحادثة من آثار![80]، ومفعول يترقّب محذوف تقديره: لُحُوقَ الطَّالبينَ، وقيل: يترقب غوث الله، والأول أنسب بالسياق[81].

ومن الفوائد الإيمانيّةِ والتّربويّةِ للترقّبِ هنا، ما يأتي:

1. أنَّ الخَوفَ قد يتطرقُ إلى نفوس الأنبياء-عليهم الصَّلاة والسَّلام- وليس ذلك قدحًا في عصمتهم، وأنّهُ لا ينافي المعرفةَ باللهِ ولا التّوكّلَ عليهِ[82] بدليل أنه ما نسي ربه، بقوله: {قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ}[83] وبقوله: {عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ}[84] وإنما قال -عليه السّلام- ذلك توكلًا على الله –تعالى- وثقةً بِحُسنِ توفيقهِ.
2. الآية تشير إلى أن قتل القبطي على يد موسى-عليه السّلام- لم يكن ذنبًا، إذ لو كان كذلك لكان هو الظالم لهم، بينما هم لم يكونوا ظالمين له، بل كانوا يطالبونه بالقصاص بسبب قتله لذلك القبطي[85].

3. وفيها دليلٌ على أنَّ الخَوفَ عند الدواهي الكبار لا ينافي الخصوصية؛ لأنه أمر جِبِلِّي، لكنه يخف ويهون أمره، وفيها دليلٌ على جواز الفرار من مواطن الهلاك، يفرّ مِن الله إلى الله، ولا ينافي التوكل، وقد اختفى من الكفار بغار ثور، واختفى الحسن البصري من الحَجَّاج، عند تلميذه حبيب العجمي[86].
4. إنَّ المعصية قد تكون سببًا لنيل خصائص عظيمة، كما حدث مع أكل آدم من الشجرة، الذي كان سببًا في تحقُّق الخلافة في الأرض، وعمارة الكون، وما نتج عن صُلبه من أنبياء وأولياء وعلماء، وكذلك قتل موسى -عليه السلّام- نفسًا لم يُؤمر بقتلها، كان سببًا في خروجه للتربية عند شعيب -عليه السلام-، مِمّا أعده للنبوة والرسالة والاصطفاء، فكل ما يُؤدي إلى التواضع والانكسار يُفضي إلى التقريب من الملك الغفار. والخلاصة أن من سبق له في الأزل مقام المحبوبية، فإن العناية الإلهية تظل تحيط به[87].
5. كلمة {يَتَرَقَّبُ} تعني الحذر والانتباه، وهي قيمة تربوية تُعلم المؤمن أهمية متابعة الأحداث التي تجري من حوله، وتحثه على استشراف ما قد يحدث في المستقبل[88].
6. كما أنّها تصور هيئة القلق الذي يتلفت ويتوجس وتوقع الشر في كل لحظة، وهي سمة الشخص الانفعالية التي تبدو في هذا الموقف، والتعبير يجسم هيئة الخوف والقلق بهذا اللفظ، كما أنه يضخمها بكلمتي: {فِي الْمَدِينَةِ} فالمدينة عادة موطن الأمن والطمأنينة، فإذا كان خائفًا يترقب في المدينة، فأعظم الخوف ما كان في مأمن ومستقر![89]، كما أنَّ اللفظ يشعر بشدة القلق النفسي الذي أصاب موسى- عليه السّلام- في أعقاب هذا الحادث، كما يشعر- أيضًا- بأنه- عليه السّلام- لم يكن في هذا الوقت على صلة بفرعون وحاشيته، لأنّهُ لو كان على صلة بهم، ربما دافعوا عنه، أو خففوا المسألة عليه[90].
7. وأفادت الآية أيضًا: وُجُوبَ النُّصحِ وبذل النصيحة، فمؤمن آل فرعون علم سلامة موسى- عليه السّلام- من العيب ومن الجريمة، فبذل له النصح والإرشاد بمغادرة البلاد لينجو -إن شاء الله- وليس هذا من باب خيانة البلاد والدولة؛ لأنَّ موسى من أهل الكمال وما حدث عنه كان من باب الخطأ، فرفده ومدّ إليه اليد إنقاذًا من موت متعين[91].

وبهذه الفائدة التربويّة والإيمانيّة المستخلصة من مفهوم الترقب، أختم هذا المبحث، لأنتقل إلى مبحثٍ جديدٍ حول ترقب الغيب والانتظار.

المبحث الرابع: تَرقُّبُ الغَيبِ والانتظارِ

سأتناول في هذا المبحث -بإذن الله تعالى- موضوع "ترقُّب الحفظ والانتظار"، حيث سأناقش فيه مفهوم الترقُّب المتعلق بالأوقات الماضية والمستقبلية، بالإضافة إلى ارتقاب الإمهال الاختباري، وعليه سيشمل البحث هذه المحاور في ثلاثة مطالب:

المطلب الأول : تَّرَقُّبُ الحفظ أو الانتظار

اشتَدَّ موسى -عليه السَّلام- غضبًا على أخيهِ هارونَ وألقى الألواحَ التي كُتِبَتْ فيها التّوراة من شِدّةِ غضبهِ كما حكت سورة الأعراف[92] وفي سورة طه: {قالَ يا هارُونُ ما مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا، أَلاَّ تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي}[93]، أيْ: قال موسى لأخيه هارون على سبيل اللوم والمعاتبة: يا هارون أي شيء منعك من مقاومتهم وقت أن رأيتهم ضلوا بسبب عبادتهم للعجل... أيْ: ما الذي منعك من أن تتبعني في الغضب عليهم لدين الله حين رأيتهم عاكفين على عبادة العجل، أفعصيت أمرى فيما قدمت إليك من قولي: اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ وفيما أمرتك به من الصلابة في الدين؛ لأنَّ وجودك فيهم وقد عبدوا غير الله- تعالى- يعتبر تهاونًا معهم فيما لا يصح التهاون فيه، وكأن موسى- عليه السلام- كان يريد من أخيه هارون- عليه السّلام- موقفًا يتسم بالحزم والشدة مع هؤلاء الجاهلين، حتى ولو أدى الأمر لمقاتلتهم[94]، فأجابَهُ هارون-وَكَانَ لَهُ هَائِبًا مُطِيعًا-[95] مستعطفًا بذكر أول وطن ضمهما بعد نفخ الروح مع ما له من الرقة والشفقة[96]: {قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي}[97]، والتعبير بـ{يَبْنَؤُمَّ} أدعى إلى العطف والرقة، وأعظم للحق الواجب؛ ولأنّها كانت مؤمنة فاعتدّ بنسبها؛ ولأنّها هي التي قاست فيه المخاوف والشدائد فذكره بحقها[98]، وَقَوْلُهُ: {وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي}[99] أي: لَمْ تَنْظُرْ قَوْلِي وَتَحْفَظْهُ، مِنْ مُرَاقَبَةِ الرَّجُلِ الشَّيْءَ، وَهِيَ مُنَاظَرَتُهُ بِحِفْظِهِ[100]، والقول الأول لابن جريج، والثاني: لابن عباس[101]، وهما معنيان يرجعان إلى واحد، وهو أنَّ معنى الرقوب: العمل في الأمر على ما تقدّم به العهد، فالحفظ والانتظار داخل في هذا[102]، فالشاهد هنا: أنَّ القرآن الكريم ذكر استعمال هارون للترقب في معنى أقرب ما يكون للتقدير واحترام مشاعر الآخرين وامتصاص غضبهم إن كانوا غاضبين؛ فلئلا يظن موسى أنَّ هارون لم يهتم لوصاياه ويحفظها بادره بالقول:{... إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي}[103] وفي هذا اللفظ من المعاني الإيمانيّة والتربويّة ما يتجلى لكلّ مُتدبّرٍ، ومن تلك الفوائد الجليلة، ما يأتي:

1. من الضروري تبرير مواقفنا أحيانًا للآخرين، خاصة لمن لا يعرفون نوايانا، كما فعل هارون حين برّر موقفه لموسى عليه السلام، وإنَّ القائل بعدم الحاجة للتبرير يتجاهل حقوق المسلمين في النصح وبيان ما يلتبس عليهم. التفاهم يختلف بين الناس، وقد يؤدي عدم التوضيح إلى سوء فهم، حتى لو كان هناك من يسيء الظن، إلا أن الأغلب يستحقون توضيح نوايانا، كما فعل هارون حين قال: {إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي}[104].
2. ومن الفوائد الإيمانيّة والتربويّةِ في هذه الآية: ضرورة الالتزام بأوامر الله ورسله؛ إذ إنَّ موسى ذَكَّرَ أخاه بأهميّة مراقبة وتنفيذ وصاياه طاعةً للهِ ورسولهِ، وأنّه لا مجال للتسويف أو التراخي عن القيام بالأعمال والواجبات؛ لأنَّ التقاعس عن أداء الواجب، قد يؤدي إلى نتائج غير محمودة[105].
3. الغضبُ لله –عزَّ وَجَلَّ- ليس سيئًا، حيث إنَّ موسى-صلوات الله عليه- كان رجلًا حديدًا مجبولًا على الحِدّة والخشونةِ والتَّصلب في كُلِّ شيءٍ، شديد الغضب لله ولدينه، فلم يتمالك حين رأى قومه يَعبُدُوْنَ عجلًا من دون الله، أن ألقى ألواح التوارةِ لما غلب ذهنه من الدهشة العظيمة، غضبًا لله[106] واستنكافًا وحميةً، وعنّفَ بأخيهِ وخليفته على قومه[107].
4. وأنَّ القائِدَ يجب عليه مراقبة الأمور عن كثب، والتأكد من سيّر النّاس على النهج القويم، وإلّا فإنَّ بعضَ الأخطاء القياديّة، قد تؤدي إلى تضليل الجماعة، وهذا الأمر يُعزّزُ أهمية المسؤولية في القيادة الحكيمة.
5. لا بُدَّ من اليقظة أمام الفتن، كما لام موسى -عليه السلام- أخاه هارون، قائلًا: {يَاهَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا}[108]، حيث كان سبب الملامة هنا هو أنه رأى الفتنة ولم يتعامل معها بحزم، وكأن موسى كان يتوقع من أخيه موقفًا حازمًا وشديدًا تجاه هؤلاء الجاهلين، حتى وإن تطلب الأمر مقاتلتهم[109].
6. أهمية التوجيه التربوي بين الإخوة تكمن في توعية المخطئ بتقصيره لتجنب الأخطاء المستقبلية، مع ضرورة العتاب البناء وقبول الاعتذار عند تقديمه، كما يظهر في موقف موسى عليه السلام مع أخيه هارون عندما قال: {يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي}[110]، مِمّا يدل على أهمية الحوار الهادئ وتقويم السلوك دون تعنيف أو توبيخ شديد[111].

7. الخطأ في الاجتهاد، حين تكون الأدلة واضحة، لا يُعذر صاحبه في تطبيق الأحكام عليه، وهو ما يُعرف في الفقه بالتأويل البعيد. ولا يُتصوَّر أن موسى -عليه السلام- عاقب هارون قبل التأكد من وجود تقصير منه[112].
8. "وفي إنكار موسى على هارون دليلٌ على أنَّ القضاء على الكفر- ولو على حساب وحدة الأمة- هو الإصلاح، وليس الإصلاح هو المحافظة على وحدة الأمة مع الكفر"[113].

المطلب الثاني: تَرَقُّبُ الأوقاتِ الفَائتةِ أو المُنتظرةِ

تَرقُّبُ الوقتِ الفائتِ ينبعُ من شُعُورِ الإنسانِ بالنَّدمِ على ما مضى، وقد يكون دافعًا للإنسان على التَّوبةِ والإنابةِ والرُّجوعِ إلى الله -تعالى- أمَّا ترقب الوقت المنتظر الغائب ربما يكون داعيًا إلى العمل الصالح، أو يكون سببًا للقلق والخوف إذا غاب التوكل على الله-سبحانه-، وقد ورد تَّرَقُّبُ الأوقات في سورة الدخان في موضعين: الأول منهما: {فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ}[114]، والثاني: {فارتقب انهم مرتقبون}[115]، قد اختلف المفسرون في دلالة فعل الأمر{فَارْتَقِبْ} الوارد في الآيتين على قولين:

الأول منهما: (انتظر) قاله قتادة[116] ومقاتل[117] واختاره جمعٌ من المفسرين منهم الإمام الطبري[118] والثعلبي[119] والواحدي[120] والبغوي[121] والرازي[122] والآلوسي[123].

والثاني:(احفظ) قاله العز بن عبد السلام في أحد قوليه[124] وذكره القرطبي بصيغة التضعيف[125] والشوكاني[126]، والظاهر أنَّ القول الأول؛ هو الأقرب والأنسب والأليق في المقام؛ لأنَّ الآيتين في مقام التّهديد والوعيد، ومناسبتهما تقتضي اختيار هذا القول- والله تعالى أعلم-.

واختلفوا في الدُّخَان الذي أمر الله بارتقابه على أقوال: الأول منها: أنّهُ دخان يوم القيامة، وهو من أشراط السّاعة المُنتظرة لم يأتِ بعد، قاله علي بن أبي طالب[127]، وبه قال حَبْرُ الأمةِ ابن عباس[128]، وابن عمر[129]، وزيد بن علي[130]، والحسن[131]، أبن أبي مليكة[132]، ورجحه ابن كثيرٍ[133] والنسفي[134] ومحمد بن عبد الرحمن الأيجي[135] والرازي[136] وسيد قطب[137].

القول الثاني: هو ما أصاب قريشًا من الشِّدّة والجوع، حينما دعا عليهم النَّبيَّ –ﷺ- بسنينٍ كسنين يوسف، فارتفع المطر، وأجدبت الأرض وأصابهم القحط، فكانوا يرون ما بينهم وبين السماء دخانًا، قاله عبد الله بن مسعود[138]، وبه قال: مجاهد[139]، ومقاتل[140]، وأبو العالية[141]، والنخعيُّ[142]، والضَّحاكُ[143]، والفرّاءُ[144]، والزّجاجُ[145]، ورجحَهُ الطبريُّ[146]، وجمعٌ من المُفسرينَ[147]. الْقَوْلُ الثَّالِثُ: إِنَّهُ يَوْمُ فَتْحِ مَكَّةَ لَمَّا حَجَبَتِ السَّمَاءَ الْغَبَرَةُ، قَالَهُ أبو هريرةَ[148]

وعَبْدُ الرَّحْمَنِ الْأَعْرَجُ[149] وذكره جماعة من المفسرون في كتبهم[150]، وهو قولٌ مردودٌ؛ لغرابته ونكارته[151].

واستدّلَ أصْحَابُ القول الأول بأحاديث منها: حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ الْغِفَارِيّ، قَالَ: اطَّلَعَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَلَيْنَا وَنَحْنُ نَتَذَاكَرُ، فَقَالَ: مَا تَذَاكَرُونَ؟ قَالُوا: نَذْكُرُ السَّاعَةَ، قَالَ: إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ، فَذَكَرَ، الدُّخَانَ..... [152]، وما أخرجه الطَّبريُّ في تفسيره، عَنْ رِبْعِيِّ بْنِ حِرَاشٍ، قَالَ: سَمِعْتُ حُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «أَوَّلُ الْآيَاتِ الدَّجَّالُ.....قَالَ حُذَيْفَةُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الدُّخَانُ؟ فَتَلَا رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الْآيَةَ: {يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ}[153]، «يَمْلَأُ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ يَمْكُثُ أَرْبَعِينَ يَوْمًا وَلَيْلَةً، أَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيُصِيبُهُ مِنْهُ كَهَيْئَةِ الزُّكَامِ، وَأَمَّا الْكَافِرُ فَيَكُونُ بِمَنْزِلَةِ السَّكْرَانِ يَخْرُجُ مِنْ مَنْخِرَيْهِ وَأُذُنَيْهِ وَدُبُرِهِ»[154].

واستدل أصحاب القول الثاني بما جاء في الصحيحين، عَنْ مَسْرُوقٍ، قَالَ : قَالَ عَبْدُ اللهِ إِنَّمَا كَانَ هَذَا لأَنَّ قُرَيْشًا لَمَّا اسْتَعْصَوْا عَلَى النَّبِيِّ -ﷺ- دَعَا عَلَيْهِمْ بِسِنِينَ كَسِنِي يُوسُفَ فَأَصَابَهُمْ قَحْطٌ وَجَهْدٌ حَتَّى أَكَلُوا الْعِظَامَ فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَنْظُرُ إِلَى السَّمَاءِ فَيَرَى مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا كَهَيْئَةِ الدُّخَانِ مِنَ الْجَهْدِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: {فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ}[155]، وفي رواية للبخاري: عَنْ مَسْرُوقٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ قُرَيْشًا لَمَّا أَبْطَؤُوا، عَنِ النَّبِيِّ -ﷺ- بِالإِسْلاَمِ قَالَ اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِسَبْعٍ كَسَبْعِ يُوسُفَ فَأَصَابَتْهُمْ سَنَةٌ حَصَّتْ كُلَّ شَيْءٍ حَتَّى أَكَلُوا الْعِظَامَ حَتَّى جَعَلَ الرَّجُلُ يَنْظُرُ إِلَى السَّمَاءِ فَيَرَى بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا مِثْلَ الدُّخَانِ قَالَ اللَّهُ : {فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ} قَالَ اللَّهُ: {إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلاً إِنَّكُمْ عَائِدُونَ} أَفَيُكْشَفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَقَدْ مَضَى الدُّخَانُ وَمَضَتِ الْبَطْشَةُ[156].

القَولُ الأقرَبُ إلى الصَّوابِ:

عرفنا أنَّ بعضًا من المُفَسِّرِينَ رجَّحُوا القولَ الأوَّلَ، في حين ذهب آخرون إلى ترجيح القولين الثاني والثالثَ، بينما جنح البعض إلى الجمع بين الأدلة، فقالوا: إنَّ الدخان الثاني الموعود حقيقيٌّ وسيقعُ يومَ القيامةِ، وهو مختلف عن الدخان الأوَّل الذي وقع في قريش، وبناءً على ذلك، فلا تعارض بين أدلة أصحاب القولين الأول والثاني، قال ابن دحية الكلبيُّ: "والذي يقتضيه النَّظرُ الصَّحيحُ حملُ ذلك على قضيتينِ: أحدهما وقعتْ وكانت الأخرى ستقع وستكون، فأمّا التي كانت فالتي كانوا يرون فيها كهيئةِ دُخَانٍ وهي الدُّخانُ غير الدُّخانِ الحقيقيّ الذي يكونُ عند ظهورِ آيات التي هي من الأشراطِ والعلاماتِ"[157]، قال مجاهد: كان ابن مسعود يقول: هما دخانان قد مضى

أحدهما، والذي بقي يملأ ما بين السماء والأرض[158]، فلَا مَانِعَ إذن مِنْ حَمْلِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ عَلَى الدُّخَانَيْنِ: الدُّخَانِ الَّذِي مَضَى، وَالدُّخَانِ الْمُسْتَقْبَلِ جَمْعًا بَيْنَ الْأَدِلَّةِ؛ لأنَّ اللفظ الكريم يتناول المعاني الثلاثة، وسببه تحقق مصداق الجميع، وأمّا تعيين واحد منها للمراد، فصعب جدًّا فيما أراه، لا سيّما ولم يتفق الصحب على رأي فيها[159]، يفهم من ذلك: أنَّ الخطاب في {فَارْتَقِبْ} مستعملٌ في انتظار دخان مضى غير حقيقي، ودخان آخر حقيقي سيقع يوم القيامة، وَالِارْتِقَابُ: افْتِعَالٌ مِنْ رَقَبَهُ، إِذَا انْتَظَرَهُ، وَإِنَّمَا يَكُونُ الِانْتِظَارُ عِنْدَ قُرْبِ حُصُولِ الشَّيْءِ الْمُنْتَظَرِ[160]، أمّا مُناسَبَةُ وُرُودِ التَّرَقُّبَ في صدر هذه السورة، فإنّه لمّا ذَكَرَ شأن القوم الشّاكينَ في قدرة الله على بعثهم يوم القيامة؛ عالجهم بالتهديد المُرْعِبِ جزاء الشك واللعب[161]. فهو تفريع عَلَى جُملةِ {بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ}[162]، قصد منه وَعْدُ الرَّسُولِ- ﷺ- بانتقامِ الله من مُكذبيهِ، ووعيدُ المُشركينَ على جُحُودهم بدلائلِ الوحدانية..[163]، وأنّهُ لمّا كَانَ فِي صَدْرِهَا الْإِنْذَارُ بِارْتِقَابِ {يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ} ... كانت خاتمتها عزيزة المنال اشتملت على حُسن براعةِ المقطعِ وبديعِ الإيجاز[164].

ومن الفوائدِ الإيمانيّةِ والتّربويّةِ في الأمر بترقُّبِ الدُّخانِ هنا، على من يرى أنه من أشراط السّاعة، ما يأتي:

1. أنَّ الإنسانَ يكون مُترقبًا للساعةِ مستعدًا لها في أيّةِ لحظةٍ، وهو أدعى إلى الطّاعة وأزجر عن المعصية، وبذلك يكون هذا الترقب محفزًا للإعداد والتخطيط والعمل الصالح[165].
2. التَّرقُبُ لما أخبرنا به رُبُّنا من الإيمان بالغيوب المستقبليّة كالسّاعة وغيرها، وإن لم تظهر لنا عيانًا، إنما هو أصل الإيمان وحقيقة .
3. ومن الفوائد الإيمانيّة والتربويّة: التّوكل على الله والثّقة بوعده، فترقب الأحداث الكبرى التي أنبأ بها-سُبحانه- في كتابه ستقع في وقتها المُحدّدِ.
4. إفادة معنى التّهديد والوعيد؛ وهو يتناول الأمر المرتقب الفائت أو المنتظر، فإن قلنا أنه – أي: الدخان- يفيد إنذارًا سوف يقع عليهم واستشعارهم حينئذ بالندم، ومسارعتهم إلى إعلان إيمانهم، وطلبهم من الله كشفه، وبيانًا بأنَّ الله قد يكشفه عنهم ولكنّهم سوف يعودون إلى غيهم فيستحقون بطشة الله الكبرى[166]، وإن قلنا إنّهُ إنذار ووعيد على أمرٍ مضى وانقضى، فأنه يفيد وعيدًا وإنذارًا من الله -سبحانه وتعالى-لهؤلاء المشركين الذين نقضوا ما عاهدوا الله عليه، بأن يؤمنوا إذا كشف الضرّ عنهم، فلما كشف عنهم الضرّ- ببركة دعاء النَّبيّ-ﷺ-عادوا إلى ما نهوا عنه[167].

5. تعزيز الخوف والرّجاء؛ لأنَّ ترقبَ يوم القيامة، يُرسخ في النّفس مزيجًا من الخوف من عقاب الله ورجاء في رحمته.
6. أنَّ الحكمة من الإخبار عن أشراط الساعة والأمر بانتظارها: تنبيه الناس من رقدتهم وحثهم على الاحتياط لأنفسهم بالتوبة والإنابة كي لا يباغتوا بالحول بينهم وبين تدارك العوارض منهم[168].
7. دَلَّ قوله-تعالى-:{فارتقب انهم مرتقبون}[169]، على الحكمة في التعامل مع المخالفين، وانتظار الحكم الآلهي من غير استعجال أو انفعال، مِمّا يُربي المؤمن على الحكمةِ وضبط النّفسِ.
8. والترقبُ يُعلّمنا المسؤوليّة في تحمل الصعاب، كمسؤولية العمل الصالح أو الاستعداد لما سيأتي من نتائج الأعمال، فهو تربية نفسيّة وإيمانيّة تدعو المؤمن إلى الثبات والعمل والتفكير للوصول إلى معارج القبول.

المطلب الثالث : تَرقُّبُ الإمهالِ الاختباريّ

أعني بترقُّبِ الإمهال الاختباريّ: حالةُ انتظارٍ تُمنحُ لشخص أو مجموعةٍ مِنَ النَّاسِ بهدفِ اختبارهِمْ، فيفسح لهم المجال للقيام بأعمالهم من غير تدخل مباشر أو عقاب فوري، وهذا الاختبار يحصل في الأوقات كلها للناس كافّة، ولا أريد في هذا المقام، الخوض في تفاصيل الاختبارات وانواعها، بل أودُّ التطرق إلى لفظٍ ورد ذكره صريحًا في القرآن الكريم، يحمل مضمونه هذا المعنى، إذ بعث الله صالحًا-عليه السّلام- إلى ثمود[170]، يدعوهم إلى عبادة الله ونبذ عبادة الأصنام، وقد جعل الله الناقة فتنة لهم، فقال:{إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ فِتْنَةً لَهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ}[171] ابْتِلَاءً وَاخْتِبَارًا بقلة الماء فكانت الناقة تشاركهم شرب الماء، فصار لهم يوم معلوم يشربون فيه وللناقة يوم تشرب فيه {قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ}[172]، وقال: {وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ}[173]، قال ابن عباس: "كان يوم شربهم لا تشرب الناقة شيئًا من الماء وتسقيهم لبنا وكانوا في نعيم، وإذا كان يوم الناقة شربت الماء كله فلم تبق لهم شيئاً"[174].

وقد أمرهم بعدم التعرض لهذه الناقة بسوء، فقال: { يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}[175] غير أنهم خالفوا أمره {فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ، فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ}[176]. والعَقْرُ عند العرب: ضَرْبُ قوائم البعير أَو الشاة بالسيف وهو قائم... ثم اتُّسِعَ في العَقْر حتى استعمل في القَتْل والهلاك[177]. حيث إنَّ صالحًا –

عليه السّلام- توعدهم بالهلاك بعد ثلاثة أيام من عقر الناقة:{فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ}[178] فأهلكهم الله كما أخبر- عليه السّلام-، ثمَّ أمر اللهُ–عزَّ وَجَلَّ- نبيَّهُ صالِحٌ- عليه السّلام- بترقُّبِ حال قومه، والارْتِقَابُ: الانتظار، وهو أبلغ من رَقَبَ لزيادة المبنى فيه[179]، أَيْ: فَارْتَقِبْهُمْ بِالْعَذَابِ، وَلَمْ يَقُلْ: فَارْتَقِبِ الْعَذَابَ إِشَارَةً إِلَى حُسْنِ الْأَدَبِ وَالِاجْتِنَابِ عَنْ طَلَبِ الشَّرِّ[180] وهو أمر حقيقي على وجه الإلزام يطلب فيه ربنا -جلَّ جلاله- من نبيه صالح- عليه السّلام- الانتظار والاصطبار على أذى قومه وألّا يعجل حتى يأتيهم الأمر الموعود، فالله – سبحانه- استعمل الارتقاب معنى الانتظار والإمهال، فأخرج لهم ناقةً عظيمةً عُشراء مِنْ صخرةٍ صمَّاء طِبْقَ مَا سَأَلُوا؛ لتكونَ حُجَّةً عليهم فِي فِيمَا جاءهم بِهِ صَالِحٍ-عليه السّلام- [181].
وقوله:{وَاصْطَبِرْ}[182]، أيْ: عَلَى ارْتِقَابِهِمْ، وَقِيلَ: عَلَى مَا يُصِيبُكَ مِنَ الْأَذَى[183].

أما وقد عرفنا استعمال الارتقاب هنا، فيحسن بنا الآن معرفة مناسبته: فإنَّ ثمود لما سالوا معجزة من صالح -عليه السّلام- على صدقه في أن يأتيهم بناقة حمراء عشراء من صخرة عينوها أخرج الله لهم هذه الناقة كما طلبوا وعينوا[184].

أمّا فوائد الارتقاب الإيمانيّةِ والتّربويّة هنا فهي كالآتي:

1. الاختبار والتمحيص، وهو الغرض الأسمى من إخراج الناقة لقوم صالح-عليه السّلام- لأنَّ الاختبار يحتاج إلى إمهالٍ ومدّة زمنية كافية؛ لمعرفة المؤمنين الخُلّص، وليرى تصرفهم مع الناقة التي طلبوها بأنفسهم كحجة على صدق نبيهم! وهذا استئنافٌ مسوق لبيان مبادىء الموعودِ حتْمًا؛ ليتميز حال من يثاب مِمّن يُعذب[185].
2. جرت سُنَّةُ الله مع عباده أنه لا يُعَذِّبَ كافرًا بِكُفرِهِ إلّا بعد البلاغ والإنذار؛ لئلا يبقي له عذرٌ بعد الإمهال، وقوم صالح كفروا بربهم، فنصحهم ووعظهم وأبلغهم رسالات ربه، فلمّا رآهم معرضين عن جادة الصّواب تولى عنهم {...وَقَالَ يَاقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ}[186]، فسنة الله-تعالى- ماضية لا تتبدّل أو تتغيّر، وأنَّ الظلم والفساد لا يدومان.
3. فائدة الأمر الماضي بصورة الحاضر: استحضار الموقف في ذهن السامع فلم يقل: وأمرته أن يرتقبهم، إنما قال: {فَارْتَقِبْهُمْ} فالأمر المضارع يفيد التجدد والاستمرار، بخلاف الأمر الماضي، وليكون هذا الأمر حاضرًا في ذهن النبيّ-ﷺ- فيقتدي بصالحٍ في الصَّبرِ والدُّعاءِ إلى الحقِّ ويثقُ بربهِ في النَّصرِ على الأعداءِ[187].

4. تحذير المخالفين من قوم صالح بعذابٍ مُحدَّدِ الأجلِ، لم يكن بعيدًا، حتى حَلَّ بهم العذاب، {فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ}[188].
5. تربية النفس على الانتظار وهو الارتقاب الإيجابي، فلم يكن الانتظار هنا دالًا على اليأس أو الخمول، إنّما هو الاستعداد والتأهب للعمل لما هو آتٍ، وهو فرصة أيضًا لمنح المخالفين مزيدًا من الوقتِ للتأمل والمراجعة، مِمّا يُعزّزُ قيمة التّدرّجِ في الدَّعوةِ.
6. اليقين والثقة بحكم الله -تعالى- وأنَّ المؤمن مطالب بالاعتماد على الله وانتظار ما وعد به من نصرة الحقّ، وأنَّ الترقب لحكم الله يربي النفس على التفاؤل والرجاء وعدم اليأس مهما اشتدت الظروف[189].
7. التّحلّي بالصّبرِ وتوطينِ النّفسِ على تَحَمُّلِ الإيذاءِ والمَشاقِ، في سبيلِ تحقيقِ الأهدافِ المنشُودةِ، حيث صبر صالحٌ على قومه إلى حدِّ الاصطبار، وَالِاصْطِبَارُ: أَقْوَى دَلَالَةً مِنَ الصَّبْرِ، أيْ: اصْبِرْ صَبْرًا لَا يَعْتَرِيهِ مَلَلٌ وَلَا ضَجَرٌ، والأنبياءُ-عليهمُ السّلامُ- كانوا كلّهم قدوة في الصبر والثبات[190].

الخاتمة:

أنَّ قوله -تعالى- {فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ}[191] يوجه المؤمن إلى الجمع بين الانتظار الواثق بحكم الله، والعمل بالصبر والتحمل في مواجهة التحديات، فالآية الكريمة تُعزّزُ التُّوازن بين الإيمان العميق بقدرة الله والاستعداد لمواجهة الأذى بالحكمة والتروي مِمّا يجعلها قاعدة إيمانيّة وتربويّة راسخة لكلِّ مؤمنٍ.

الخاتمة

بناءً على ما تمَّ استعراضه في هذا البحث، يتضح أنَّ التَّرَقُّب في القرآن الكريم مفهوم تربوي مرتبط باليقين بوعد الله والإيمان بالغيب، وهو ما أكدته نتائج هذه الدراسة:

1. استخدم القرآن التَّرَقُّبَ في سياقاتٍ متنوعةٍ كتحذيرٍ وصبرٍ، ليعكس حكمة الله في توجيه البشر حسب أحوالهم، كحالة من الوعي والتحفز.
2. أظهرَ البَحثُ أنَّ التَّرَقُّبَ في القرآن يدعو المؤمن للتوكل على الله واليقين بنصره، مع الصّبر كسبيل للنجاح، دون استعجال أو تشويش.
3. التَّرَقُّبُ هو انتظارٌ نشطٌ يُشجعُ المُسلِمَ على استغلالِ الوقت والفرص بفعالية، مع ثقة وروح إيمانية وثبات في مواجهة التحديات.

4. ورد اسمُ "الرّقيب" في القرآن في سياقات متعددة، مِمّا يدل على مراقبة الله الدائمة للإنسان في كل لحظة، ويُعلّمُ المُسلِمَ مسؤوليتَهُ عن كل فعل وقول.
5. وصف الله المَلَك بـ"رقيب" ليُظهر رقابة الله على الإنسان في كل قول وفعل، مِمَّا يُحفّزُ المُسلِمَ على التّصرف بما ينفعه.
6. أخبر الله -تعالى- أنَّ المشركين ينقضون العهود، فنهى المؤمنين عن الاعتماد عليهم وحثهم على تجنب من لا يلتزم بالصدق.
7. أخبر الله -تعالى- أنَّ المشركين ينقضون العهود، فنهى المؤمنين عن الاعتماد عليهم.
8. ورد "الارتقاب" على لسان موسى -عليه السلام- في معاتبته لأخيه هارون كتحذير من تأخير اتخاذ القرار الصحيح.
9. دلَّ الترقب على خوف موسى -عليه السّلام- بعد قتل القبطي عن غير قصد، حيث كان في قلق من عواقب فعله.
10. قد يصيب الخوف الأنبياء -عليهم السّلام- في بعض المواقف دون تعارض مع عصمتهم، ومع ذلك يظلون متوكلين على الله وواثقين بنصره.
11. جاء لفظ "الترقب" دالًا على انتظار دخان يوم القيامة أو دخان ماضٍ، باختلاف تفسير المفسرين.
12. أمَرَ اللهُ نبيَّه صالحًا بالانتظار لاختبار إلهي مرتبط بالنّاقة، وعندما تمرّدوا هلكوا، فكان الصبر والاستجابة لأوامر الله طريق النجاة.

الهوامش:

---

(1) القمر: 17.

(2) محمد: 24.

(3) طه: 94.

(4) لسان العرب، لابن منظور:1/ 424 مادة: (رقب).

(5) معجم مقاييس اللغة:353/2، مادة: (رقب).

(6) ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، لأبي نصر الفارابي:137/1، مادة: (رقب)، واللسان:1/ 424 مادة: (رقب).

(7) النساء: 1

(8) المائدة: 117

(9) الأحزاب :52

(10) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: 6/ 377 .

(11) ق: 18.

(12) ينظر: البحر المحيط في التفسير، لأبي حيّان:534/9، وفتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، للشوكاني:75/5

(13) تفسير القرآن العظيم:399/7.

(14) ق: 18.

(15) التحرير والتنوير:303/26.

(16) المصدر نفسه: 303/26.

(17) الأعراف:71.

(18) يونس:102 .

(19) يوسف: 87.

(20) البقرة: 228.

(21) البقرة: 234.

(22) النبأ:21.

(23) الجامع لأحكام القرآن:177/19.

(24) ينظر: تفسير القرآن العظيم:115/4.

(25) التوبة: 8.

(26) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لأبي الثناء الآلوسي:250/5.

(27) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي:273/3.

(28) ينظر: اللبحر المحيط في التفسير:377/5، ومحاسن التأويل، للقاسمي:357/5.

(29) ينظر: التحرير والتنوير:10/ 124.

(30) ينظر: تفسير المراغي:62/10، وفي ظلال القرآن، لسيد قطب:487/3.

(31) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي:3/ 276.

(32) التوبة: 10.

(33) ينظر: فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن، لزكريا بن محمد الأنصاري:227/1.

(34) التوبة: 13.

(35) ينظر: العين، للخليل بن أحمد الفراهيدي:351/5، ولسان العرب:197/2 مادة: (نكث).

(36) مفاتيح الغيب: 15/ 533.

(37) التوبة: 9.

(38) إعراب القرآن، للنحاس:204/2.

(39) ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم:4/ 47، وروح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني:5/ 251.

(40) ينظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم:6/ 217، 218.

([41]) ينظر: تفسير القرآن الحكيم، لمحمد رشيد رضا:224/10.

([42]) ينظر: محاسن التأويل، للقاسمي:358/5.

([43]) ينظر: التفسير القرآني للقرآن، لعبد الكريم الخطيب:707/5

([44]) ينظر: التحرير والتنوير:123/10.

([45]) ينظر: تفسير القرآن الحكيم، لمحمد رشيد رضا:163/10.

([46]) ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني:250/5.

([47]) ينظر: مجموع الفتاوى، لابن تيمية:140/29.

([48]) ينظر: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل:249/2.

([49]) وهي المدينة التي تقع على بحر القلزم وبها البئر التي استقى منها موسى لبنات شعيب – عليهما السّلام.(معجم البلدان، لياقوت الحموي:77/5).

([50]) هود: 93.

([51]) ينظر: التفسير القرآني للقرآن:1193/6.

([52]) البحر المحيط في التفسير:257/5.

([53]) التفسير القرآني للقرآن:6/ 1193

([54]) زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي:398/2.

([55]) ينظر: في ظلال القرآن: 1923/4

([56]) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري: 559/12.

([57]) الشعراء: 189.

([58]) الأعراف: 78.

([59]) هود: 94،95.

([60]) الأعراف: 85.

([61]) هود: 84.

([62]) هود: 85.

([63]) هود: 93.

([64]) الزمر: 39، 40.

([65]) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، للزمخشري:424/2.

([66]) ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني:321/6.

([67]) ينظر: تفسير القرآن الحكيم:149/12.

([68]) ينظر: محاسن التأويل:128/6.

([69]) ينظر: الجامع لأحكام القرآن:92/9.

([70]) ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني:322/6.

(71) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: 473/5.

(72) القصص:18.

(73) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن:192/18.

(74) القصص:18.

(75) ينظر: القصص القرآني في القرآن الكريم، لمحمد محمود حجازي:172/1

(76) القصص:19.

(77) ينظر: تفسير القرآن العظيم:226/6،225.

(78) ينظر: القصص القرآني في القرآن الكريم:172/1.

(79) القصص:21.

(80) ينظر: التفسير القرآني للقرآن، لعبد الكريم الخطيب: 10/ 325

(81) ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم:8/7، وإعراب القرآن وبيانه، لأحمد مصطفى درويش:297/7.

(82) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: 264/13.

(83) القصص:21.

(84) القصص:22.

(85) ينظر: اللباب في علوم الكتاب، لابن عادل الدمشقي:234/15.

(86) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، لابن عجيبة:240/4.

(87) المصدر نفسه:240/4.

(88) ينظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم:288/3.

(89) ينظر: في ظلال القرآن:2682/5، 2683.

(90) ينظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، لمحمد سيد طنطاوي:389/10، وروح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني2668/10.

(91) أيسر التفاسير، لأبي بكرٍ الجزائري:62/4.

(92) الآية: 150.

(93) 92، 93.

(94) التفسير الوسيط للقرآن الكريم:142/9.

(95) جامع البيان عن تأويل آي القرآن:672/1.

(96) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور:41/5.

(97) طه: 94.

(98) الكشاف:161/2 .

(99) طه: 94.

(100) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن:147/16.

([101]) الدر المنثور في التفسير بالمأثور، لجلال الدين السيوطي:220/10.

([102]) التفسير البسيط، للواحدي:305/10 .

([103]) طه: 94.

([104]) طه: 94.

([105]) ينظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن:291/5.

([106])[قال سعيد بن جبير عن ابن عباس -ﷺ- والجمهور من العلماء، إنَّ موسى -عليه السّلام- ألقي الألواح غضبًا على قومه لعبادتهم العجل وغضبًا على أخيه لإهماله أمرهم، وقال قتادة، إن موسى غضب؛ لأنَّهُ رأى في الألواح فضيلة أمة محمد -ﷺ-، فكان يرغب أن تكون لأمته، لكن هذا القول ضعيف، وقد ردَّه ابن عطية وآخرون؛ لأنه قد يكون منقولًا عن أهل الكتاب] ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن:451/10- 454، والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطيّة:457/2، وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير:477/3.

([107]) ينظر: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل:84/3.

([108]) طه: 92.

([109]) ينظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم:142/9.

([110]) طه: 94.

([111]) ينظر: الوسيط في تفسير القرآن المجيد، للواحدي:219/3.

([112]) ينظر: التحرير والتنوير:116/9.

([113]) الأساس في التفسير، لسعيد حوّى:3383/7.

([114]) الدخان: 10 .

([115]) الدخان :59 .

([116]) جامع البيان عن تأويل آي القرآن:13/21.

([117]) تفسير مقاتل بن سليمان:826/3.

([118]) جامع البيان عن تأويل آي القرآن:13/21.

([119]) الكشف والبيان عن تفسير القرآن:357/8.

([120]) الوسيط في تفسير القرآن المجيد:86/4.

([121]) معالم التنزيل في تفسير القرآن:183/4.

([122]) مفاتيح الغيب:656/27، وذكر أنَّ مفعول الارتقاب - وانتظر عذابهم يا محمد- محذوف لدلالة ما بعده عليه وهو قوله تعالى:{هَذَا عَذابٌ أَلِيمٌ} [الدخان:11].

([123]) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني:135/13.

([124]) تفسير القرآن:166/3.

([125]) الجامع لأحكام القرآن:130/16.

([126]) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير:654/4.

([127]) ينظر: تفسير عبدالرزاق:181/3.

([128]) ينظر: المصدر نفسه:181/3.

([129]) ينظر: البحر المحيط في التفسير:34/8.

([130]) ينظر: المصدر نفسه:34/8.

([131]) ينظر: المصدر نفسه :34/8.

([132]) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن:18/21، 19، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم:3287/10، 3288، ومعالم التنزيل:175/4، والجامع لأحكام القرآن:130/16

([133]) ينظر: تفسير القرآن العظيم:249/7.

([134]) ينظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل: 103/4 حيث ذكر هذا القول أولاً ثمَّ ذكر الثاني بصيغة: (قيل) الدالة على التضعيف.

([135]) ينظر: جامع البيان في تفسير القرآن:99/4، 100.

([136]) ينظر: مفاتيح الغيب: 657/27.

([137]) ينظر: تفسير القرآن العظيم:249/7، وفي ظلال القرآن:5/.3212

([138]) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن:21/ 15، وتفسير القرآن، للسمعاني:123/5، والجامع لأحكام القرآن:131/16.

([139]) ينظر: تفسير مجاهد:597/1 .

([140]) ينظر: تفسير مقاتل:818/3.

([141]) ينظر: تفسير القرآن العظيم:247/7.

([142]) ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني:116/13.

([143]) ينظر: المصدر نفسه:247/7.

([144]) ينظر: معاني القرآن:39/3.

([145]) ينظر: معاني القرآن وإعرابه:424/4.

([146]) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن:20/21

([147]) منهم: الواحدي:86/4، والسمعاني: 122/5، والعز بن عبد السلام:3/ 166 ذكره أولاً ثم ذكر القولين الآخرين بصيغة التضعيف إشارة إلى قوة هذا القول عنده، والخازن: 144/6، والثعالبي: 195/5، وأبو السعود: 60/8، والجلالان: 657/1، والآلوسي: 117/13، وابن عاشور:25/ 287.

([148]) ينظر: الطبقات الكبرى لابن سعد:108/2.

([149]) ينظر: تفسير ابن أبي حاتم:3287/10.

([150]) منهم أبو حيّان: 9/ 399، والقرطبي: 131/16.

([151]) ينظر: تفسير القرآن العظيم:247/7.

([152]) المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله -ﷺ- برقم:(7467)178/8.

([153]) الدخان: 9.

([154]) جامع البيان عن تأويل آي القرآن:19/21.

([155]) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح -واللفظ له- برقم (4821) 164/6، ومسلم: (7244)130/8.

([156]) أخرجه البخاري برقم: (4693)96/6.

([157]) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، للقرطبي:1266/1.

([158]) المصدر نفسه: 1267/1،1266.

([159]) ينظر: محاسن التاويل:415/8، وأضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للشنقيطي: 2/ 457.

([160]) ينظر: التحرير والتنوير: 25/ 285.

([161]) ينظر: في ظلال القرآن: 3207/5.

([162]) الدخان: 9.

([163]) ينظر: التحرير والتنوير:285/25.

([164]) ينظر: المصدر نفسه: 322/25.

([165]) ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني:5/ 125.

([166]) ينظر: التفسير الحديث، لمحمد عزت دروزة:542/4.

([167]) ينظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم:119/13، والتفسير القرآني للقرآن:189/13.

([168]) ينظر: التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة:1217/1.

([169]) الدخان :59 .

([170]) ثمودُ أمةٌ عظيمةٌ من العرب البائدة، مساكنهم بالحِجْر بين الحجاز والشام، وتسمى الآن: مدائن صالح(ينظر التحرير والتنوير: 216/8).

([171]) القمر:27.

([172]) الشعراء: 155.

([173]) القمر:28.

([174]) الجامع لأحكام القرآن:17/ 140 .

([175]) الأعراف: 73.

([176]) الشعراء: 157، 158.

([177]) لسان العرب لابن منظور:593/4، مادة: (عقر).

([178]) هود: 65.

([179]) ينظر: التحرير والتنوير:200/27.

([180]) مفاتيح الغيب: 29/ 310 .

([181]) ينظر: تفسير القرآن العظيم:479/7.

([182]) القمر:27.

([183]) معالم التنزيل:325/4.

([184]) ينظر: التفسير المظهري، لمحمد ثناء الله:140/9.

([185]) ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم:172/8، ومراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد، لمحمد الجاوي:472/2.

([186]) القمر:79.

([187]) ينظر: مفاتيح الغيب:309/29.

([188]) القمر: 78.

([189]) ينظر: تفسير المراغي:91/27.

([190]) ينظر: التحرير والتنوير: 200/27 .

([191]) القمر:27.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

1. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: محمد بن محمد بن مصطفى العمادي (ت982هـ)، دار إحياء التراث العربي- بيروت.
2. الأساس في التفسير: سعيد حوّى (ت1409ه)، ط6، دار السلام – القاهرة، 1424هـ
3. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الشنقيطي(ت 1393هـ)، دار الفكر – بيروت، 1415هـ - 1995م.
4. إعراب القرآن وبيانه :أحمد مصطفى درويش(ت 1403ه)، دار اليمامة وابن كثير- دمشق – بيروت ،1415هـ
5. إعراب القرآن: أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس(ت338ه)تح: زهير غازي زاهد(عالم الكتب 1409هـ- 1988م).
6. أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير: جابر بن موسى بن عبد القادر الجزائري، ط5، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، 1424هـ-2003م.
7. البحر المحيط في التفسير: محمد بن يوسف، تح: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، ط1، دار الكتب العلمية – بيروت، 1422هـ - 2001م.
8. البحر المديد في تفسير القرآن المجيد: أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الفاسي(ت1224هـ) تح: أحمد عبد الله القرشي رسلان، القاهرة، 1419هـ
9. التحرير والتنوير: محمد بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور(ت1393ه)، الدار التونسية، 1984هـ
10. التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة: محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي(ت 671هـ) تح: الصادق بن محمد بن إبراهيم، ط1، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض، 1425هـ
11. التَّفْسِيرُ البَسِيْط: علي بن أحمد بن محمد الواحدي(ت468هـ) تح: رسالة دكتوراه بجامعة الإمام محمد بن سعود، ط1، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية،1430هـ
12. التفسير الحديث: محمد عزت دروزة ، دار إحياء الكتب العربية – القاهرة، 1383هـ
13. تفسير القرآن الحكيم: محمد رشيد رضا (ت1354ه)، ط2، دار المنار-مصر،1368هـ
14. تفسير القرآن العظيم: إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت774هـ)تح: سامي بن محمد سلامة، ط2، دار طيبة، 1420هـ - 1999م.

15. تفسير القرآن العظيم: عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن أبي حاتم (ت327هـ) تح: أسعد محمد الطيب، ط3، مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية، 1419هـ
16. تفسير القرآن: عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي(ت660هـ) تح: الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهبي، ط1، دار ابن حزم – بيروت، 1416هـ- 1996م.
17. تفسير القرآن: منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني (ت489هـ)تح: ياسر بن إبراهيم، دار الوطن، الرياض – السعودية، 1418هـ- 1997م.
18. التفسير القرآني للقرآن: عبد الكريم يونس الخطيب (ت: بعد 1390هـ)، دار الفكر العربي – القاهرة.
19. تفسير المراغي: أحمد مصطفى المراغي(ت1371هـ)، ط1، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر1365هـ - 1946م.
20. التفسير المظهري: محمد ثناء الله المظهري، تح: غلام نبي التونسي، مكتبة الرشدية - الباكستان1412هـ
21. التفسير الوسيط للقرآن الكريم: محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر.
22. تفسير مجاهد بن جبر المخزومي(ت104هـ) تح: محمد عبد السلام أبو النيل، ط1، دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر، 1410هـ - 1989م.
23. تفسير مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي(ت150هـ) تح: عبد الله محمود شحاته، ط1، دار إحياء التراث – بيروت، 1423هـ
24. جامع البيان عن تأويل آي القرآن: محمد بن جرير الطبري(ت310هـ) تح: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط1، دار هجر1422هـ - 2001م.
25. جامع البيان في تفسير القرآن: محمد بن عبد الرحمن بن محمد الإيجي (ت905هـ)، ط1، دار الكتب العلمية – بيروت ، 1424هـ - 2004م.
26. الجامع الصحيح: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري(ت256هـ)، ط1، دار الشعب – القاهرة،هـ1407- 1987م.
27. الجامع لأحكام القرآن: محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي(ت671هـ) تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط2، دار الكتب المصرية - القاهرة1384هـ - 1964م.
28. الجواهر الحسان في تفسير القرآن: عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي(ت875هـ) تح: محمد علي معوض وعادل أحمد عبد الموجود، ط1، دار إحياء التراث العربي – بيروت، 1418هـ
29. الدر المنثور في التفسير بالمأثور: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السّيوطي (ت911هـ)، دار هجر– مصر،1424هـ- 2003م.
30. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: محمود بن عبد الله الألوسي (ت1270هـ) تح: علي عبد الباري عطية، ط1، دار الكتب العلمية – بيروت،1415هـ
31. زاد المسير في علم التفسير: عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت597هـ) تح: عبد الرزاق المهدي، ط1، دار الكتاب العربي – بيروت - 1422هـ
32. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: إسماعيل بن حماد الجوهري(ت393هـ) تح: أحمد عبد الغفور عطار، ط4، دار العلم للملايين - بيروت1407هـ - 1987م.

33. الطبقات الكبرى: محمد بن سعد بن منيع البغدادي (ت230هـ) تح: محمد عبد القادر عطا، ط1، دار الكتب العلمية – بيروت،1410هـ - 1990م.
34. العين، الخليل بن أحمد بن عمرو الفراهيدي(ت170ه)تح: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
35. فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن: زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري (ت926هـ)تح: محمد علي الصابوني،ط1، دار القرآن الكريم، بيروت، 1403هـ - 1983م.
36. فتح القدير: محمد بن علي بن محمد الشوكاني(ت1250هـ)، ط1، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، 1414هـ
37. في ظلال القرآن: سيد قطب ، ط32، دار الشروق، القاهرة، 1423هـ - 2003م.
38. القصص القرآني في القرآن الكريم، محمد محمود حجازي(ت١٣٩٢ه)، ط1، دار الزقازيق-مصر،142هـ-200م.
39. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري (ت538هـ)، (ط3، دار الكتاب العربي – بيروت، 1407هـ
40. الكشف والبيان عن تفسير القرآن: أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي(ت427هـ) تح: أبو محمد بن عاشور، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت،1422هـ - 2002م.
41. اللباب في علوم الكتاب: عمر بن علي بن عادل الدمشقي (ت 775هـ) تح: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، ط1، دار الكتب العلمية – بيروت 1419هـ 1998م.
42. لسان العرب: محمد بن مكرم بن على الأنصاري(ت711ه)، ط3، دار صادر - بيروت1414هـ
43. مجموع الفتاوى: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (ت728هـ)تح: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، 1416هـ-1995م.
44. محاسن التأويل: محمد جمال الدين بن محمد القاسمي(ت1332هـ) تح: محمد باسل عيون السود، ط1، دار الكتب العلميه - بيروت- 1418هـ
45. مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد: محمد بن عمر نووي الجاوي (ت1316هـ)تح: محمد أمين الصناوي، ط1، دار الكتب العلمية – بيروت، 1417هـ
46. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله-ﷺ- مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري(ت261ه) مجموعة من المحققين، دار الجيل – بيروت.
47. معالم التنزيل في تفسير القرآن: الحسين بن مسعود بن الفراء البغوي(ت510هـ) تح: عبد الرزاق المهدي، ط1، دار إحياء التراث العربي –بيروت، 1420هـ
48. معاني القرآن وإعرابه: إبراهيم بن السَّرِي الزّجاج(ت311هـ) تح: عبدالجليل عبده شلبي، ط1، دار الكتب 1408هـ - 1988م.
49. معاني القرآن: يحيى بن زياد بن عبد الله الفراء(ت207هـ) تح: أحمد يوسف النجاتي وآخرون، ط1، دار المصرية – مصر.
50. معجم البلدان: ياقوت بن عبد الله الحموي(ت626ه)، ط2، دار صادر- بيروت، 1995م.

51. معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارِس بن زَكَرِيّا(ت395هـ) تح: عبد السَّلام محمد هَارُون، اتحاد الكتاب العرب ، 1423هـ - 2002م.
52. مفاتيح الغيب: محمد بن عمر بن الحسن الرازي(ت606ه)، ط3، دار إحياء التراث العربي- بيروت-1420هـ
53. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: إبراهيم بن عمر بن البقاعي (ت885هـ) تح: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية - بيروت - 1415هـ - 1995م.
54. الوسيط في تفسير القرآن المجيد: علي بن أحمد بن محمد الواحدي(ت468هـ) تح:عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، 1415هـ - 1994م.

المصادر والمراجع العربية باللغة الانكليزية:

The Holy Quran

.1 Guidance to the Sound Mind on the Merits of the Noble Quran: by Muhammad bin Muhammad bin Mustafa al-'Amadi (d. 982 AH), Dar Iḥyā' al-Turāth al-'Arabī - Beirut.

.2 The Foundation of Tafsir: by Sa'id Hawwa (d. 1409 AH), 6th edition, Dar al-Salam – Cairo, 1424 AH.

.3 Lights of Explanation in Clarifying the Quran with the Quran: by Muhammad al-Amin bin Muhammad al-Mukhtār al-Shanqīṭī (d. 1393 AH), Dar al-Fikr – Beirut, 1415 AH - 1995 CE.

.4 Arabic Parsing and Explanation of the Quran: by Ahmad Mustafa Darwīsh (d. 1403 AH), Dar al-Yamāmah and Ibn Kathīr - Damascus - Beirut, 1415 AH.

.5 Arabic Parsing of the Quran: by Ahmad bin Muhammad bin Ismā'īl al-Nahhās (d. 338 AH), edited by Zuhayr Ghāzī Zāhid (Al-'Ālam al-Kutub, 1409 AH - 1988 CE.(

.6 The Simplest Tafsir of the Words of the Almighty: by Jābir bin Mūsā bin 'Abd al-Qādir al-Jazā'irī, 5th edition, Maktabah al-'Ulūm wa al-Ḥikam, Medina, Kingdom of Saudi Arabia, 1424 AH - 2003 CE.

.7 The Comprehensive Sea in Tafsir: by Muhammad bin Yusuf, edited by 'Ādil Ahmad 'Abd al-Majūd and others, 1st edition, Dar al-Kutub al-'Ilmīyah – Beirut, 1422 AH - 2001 CE.

.8 The Vast Sea in Explaining the Glorious Quran: by Ahmad bin Muhammad bin al-Mahdī bin 'Ajībah al-Fāsī (d. 1224 AH), edited by Ahmad 'Abd Allah al-Qurashī Ruslān, Cairo, 1419 AH.

.9 Liberation and Enlightenment: by Muhammad bin Muhammad bin Muhammad al-Tāhir bin 'Āshūr (d. 1393 AH), Tunisian Publishing House, 1984 CE.

.10 Reminder on the Conditions of the Deceased and the Matters of the Afterlife: by Muhammad bin Ahmad bin Abī Bakr bin Farah al-Qurtubī (d. 671 AH), edited by al-Sādiq bin Muhammad bin Ibrāhīm, 1st edition, Maktabah Dar al-Minhāj, Riyadh, 1425 AH.

.11 The Simple Tafsir: by ʻAlī bin Ahmad bin Muhammad al-Wāhidī (d. 468 AH), edited by a doctoral thesis at Imam Muhammad bin Saud University, 1st edition, Imam Muhammad bin Saud Islamic University, 1430 AH.

.12 Modern Tafsir: by Muhammad ʻIzzat Drouza, Dar Iḥyāʼ al-Kutub al-ʻArabīyah – Cairo, 1383 AH.

.13 Tafsir of the Wise Quran: by Muhammad Rashīd Ridā (d. 1354 AH), 2nd edition, Dar al-Manār – Egypt, 1368 AH.

.14 Tafsir of the Great Quran: by Ismāʻīl bin ʻUmar bin Kathīr al-Dimashqī (d. 774 AH), edited by Sāmī bin Muhammad Sālima, 2nd edition, Dar Ṭaybah, 1420 AH - 1999 CE.

.15 Tafsir of the Great Quran: by ʻAbd al-Rahmān bin Muhammad bin Idrīs bin Abī Ḥātim (d. 327 AH), edited by Asʻad Muhammad al-Ṭayyib, 3rd edition, Maktabah Nizār Muṣṭafā al-Bāz - Kingdom of Saudi Arabia, 1419 AH.

.16 Tafsir of the Quran: by ʻIzz al-Dīn ʻAbd al-ʻAzīz bin ʻAbd al-Salām al-Sulamī (d. 660 AH), edited by Dr. ʻAbd Allah bin Ibrāhīm al-Wahbī, 1st edition, Dar Ibn Ḥazm – Beirut, 1416 AH - 1996 CE.

.17 Tafsir of the Quran: by Mansūr bin Muhammad bin ʻAbd al-Jabbār al-Samʻānī (d. 489 AH), edited by Yāsir bin Ibrāhīm, Dar al-Watan, Riyadh – Saudi Arabia, 1418 AH - 1997 CE.

.18 Quranic Interpretation of the Quran: by ʻAbd al-Karīm Yūnus al-Khaṭīb (d. after 1390 AH), Dar al-Fikr al-ʻArabī – Cairo.

.19 Tafsir al-Murāghī: by Ahmad Mustafa al-Murāghī (d. 1371 AH), 1st edition, Maṭbaʻah Muṣṭafā al-Bābī Ḥalabī wa Aulādih – Egypt, 1365 AH - 1946 CE.

.20 Tafsir al-Mazharī: by Muhammad Thānāʼ Allāh al-Mazharī, edited by Ghulām Nabī al-Tūnsī, Maktabah al-Rushdīyah - Pakistan, 1412 AH.

.21 The Mediator in Explaining the Glorious Quran: by Muhammad Sayyid Ṭanṭāwī, Dar Naḥdat Miṣr.

.22 Tafsir of Mujāhid bin Jabr al-Makhzūmī (d. 104 AH): edited by Muhammad ʻAbd al-Salām Abū al-Nīl, 1st edition, Dar al-Fikr al-Islāmī al-Ḥadīth, Egypt, 1410 AH - 1989 CE.

.23 Tafsir of Muqātil bin Sulaymān bin Bashīr al-Azdī (d. 150 AH): edited by ʻAbd Allāh Mahmūd Shaḥātah, 1st edition, Dar Iḥyāʼ al-Turāth – Beirut, 1423 AH.

.24 Jāmiʻ al-Bayān in Explaining the Quranic Verses: by Muhammad bin Jarīr al-Ṭabarī (d. 310 AH), edited by Dr. ʻAbd Allāh bin ʻAbd al-Muḥsin al-Turki, 1st edition, Dar Hajr, 1422 AH - 2001 CE.

.25 Jāmi‘ al-Bayān in Tafsir: by Muhammad bin ‘Abd al-Rahmān bin Muhammad al-Ījī (d. 905 AH), 1st edition, Dar al-Kutub al-‘Ilmīyah – Beirut, 1424 AH - 2004 CE.

.26 The Correct Collection: by Muhammad bin Ismā‘īl bin Ibrāhīm al-Bukhārī (d. 256 AH), 1st edition, Dar al-Sha‘b – Cairo, 1407 AH - 1987 CE.

.27 Al-Jāmi‘ li-Aḥkām al-Qur’ān: by Muhammad bin Ahmad bin Abī Bakr bin Farah al-Qurtubī (d. 671 AH), edited by Aḥmad al-Bardawnī and Ibrāhīm Aṭfīsh, 2nd edition, Dar al-Kutub al-Miṣrīyah - Cairo, 1384 AH - 1964 CE.

.28 The Beautiful Jewels in Quranic Interpretation: by ‘Abd al-Rahmān bin Muhammad bin Makhloof al-Ṭa‘ālibī (d. 875 AH), edited by Muhammad ‘Alī Ma‘wād and ‘Ādil Ahmad ‘Abd al-Majūd, 1st edition, Dar Iḥyā’ al-Turāth al-‘Arabī – Beirut, 1418 AH.

.29 The Precious Pearls in Tafsir with Authentic Narrations: by ‘Abd al-Rahmān bin Abī Bakr, Jalāl al-Dīn al-Suyūṭī (d. 911 AH), Dar Hajr – Egypt, 1424 AH - 2003 CE.

.30 Spirit of Meanings in the Interpretation of the Great Quran and the Seven Repeated Verses: Mahmoud bin Abdullah Al-Alusi (d. 1270 AH), edited by Ali Abdul Bari Atiya, 1st ed., Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya – Beirut, 1415 AH.

.31 Zad Al-Masir in the Science of Tafseer: Abdul Rahman bin Ali bin Muhammad Al-Jozi (d. 597 AH), edited by Abdul Razzaq Al-Mahdi, 1st ed., Dar Al-Kitab Al-Arabi – Beirut, 1422 AH.

.32 Al-Sihah: The Crown of the Language and the Correctness of Arabic: Ismail bin Hamad Al-Jawhari (d. 393 AH), edited by Ahmed Abdul Ghafour Attar, 4th ed., Dar Al-Ilm Lil-Malayeen – Beirut, 1407 AH - 1987 AD.

.33 Al-Tabaqat Al-Kubra: Muhammad bin Saad bin Mani' Al-Baghdadi (d. 230 AH), edited by Muhammad Abdul Qader Ata, 1st ed., Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya – Beirut, 1410 AH - 1990 AD.

.34 Al-Ain: Al-Khalil bin Ahmad bin Amr Al-Farahidi (d. 170 AH), edited by Mahdi Al-Makhzoumi and Ibrahim Al-Samarai, Dar and Library Al-Hilal.

.35 Fath Al-Rahman in Revealing What is Ambiguous in the Quran: Zakariya bin Muhammad bin Ahmad Al-Ansari (d. 926 AH), edited by Muhammad Ali Al-Sabouni, 1st ed., Dar Al-Quran Al-Kareem, Beirut, 1403 AH - 1983 AD.

.36 Fath Al-Qadeer: Muhammad bin Ali bin Muhammad Al-Shawkani (d. 1250 AH), 1st ed., Dar Ibn Kathir, Dar Al-Kalim Al-Tayyib – Damascus, Beirut, 1414 AH.

.37 In the Shadows of the Quran: Sayyid Qutb, 32nd ed., Dar Al-Shorouk, Cairo, 1423 AH - 2003 AD.

.38 The Quranic Stories in the Holy Quran: Muhammad Mahmoud Hegazi (d. 1392 AH), 1st ed., Dar Al-Zaqaziq – Egypt, 142 AH - 200 AD.

.39 Al-Kashaf on the Realities of the Hidden Aspects of the Quran: Mahmoud bin Amr bin Ahmad Al-Zamakhshari (d. 538 AH), 3rd ed., Dar Al-Kitab Al-Arabi – Beirut, 1407 AH.

.40 Al-Kashf wa Al-Bayan on the Interpretation of the Quran: Ahmed bin Muhammad bin Ibrahim Al-Tha'labi (d. 427 AH), edited by Abu Muhammad bin Ashour, 1st ed., Dar Ihya' Al-Turath Al-Arabi, Beirut, 1422 AH - 2002 AD.

.41 Al-Lubab in the Sciences of the Book: Omar bin Ali bin Adel Al-Dimashqi (d. 775 AH), edited by Adel Ahmed Abdul Mowjood and Ali Mohamed Muawad, 1st ed., Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya – Beirut, 1419 AH - 1998 AD.

.42 Lisan Al-Arab: Muhammad bin Makram bin Ali Al-Ansari (d. 711 AH), 3rd ed., Dar Sader – Beirut, 1414 AH.

.43 Majmu' Al-Fatawa: Ahmed bin Abdul Haleem bin Taymiyyah Al-Harrani (d. 728 AH), edited by Abdul Rahman bin Muhammad bin Qasim, King Fahd Complex for Printing the Noble Quran, Medina, 1416 AH - 1995 AD.

.44 Mahasin Al-Tawil: Muhammad Jamal Al-Din bin Muhammad Al-Qasimi (d. 1332 AH), edited by Muhammad Basil Ayoun Al-Soud, 1st ed., Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya – Beirut, 1418 AH.

.45 Maraah Libid to Reveal the Meaning of the Glorious Quran: Muhammad bin Omar Nawawi Al-Jawi (d. 1316 AH), edited by Muhammad Amin Al-San'awi, 1st ed., Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya – Beirut, 1417 AH.

.46 The Authentic Hadith Compilation with Transmissions from the Trustworthy to the Messenger of Allah (PBUH): Muslim bin Al-Hajjaj Al-Qushayri Al-Nisaburi (d. 261 AH), a group of scholars, Dar Al-Jil – Beirut.

.47 Ma'alim Al-Tanzil in the Interpretation of the Quran: Al-Hussein bin Mas'ud bin Al-Farra' Al-Baghawi (d. 510 AH), edited by Abdul Razzaq Al-Mahdi, 1st ed., Dar Ihya' Al-Turath Al-Arabi – Beirut, 1420 AH.

.48 Ma'ani Al-Quran and Its Syntax: Ibrahim bin Al-Sari Al-Zajjaj (d. 311 AH), edited by Abdul Jalil Abduh Shalabi, 1st ed., Dar Al-Kutub, 1408 AH - 1988 AD.

.49 Ma'ani Al-Quran: Yahya bin Ziyad bin Abdullah Al-Farra' (d. 207 AH), edited by Ahmed Yusuf Al-Najati and others, 1st ed., Dar Al-Misriyah – Egypt.

.50 Mu'jam Al-Buldan: Yaqut bin Abdullah Al-Hamawi (d. 626 AH), 2nd ed., Dar Sader – Beirut, 1995 AD.

.51 Mu'jam Maqayis Al-Lugha: Ahmed bin Faris bin Zakariya (d. 395 AH), edited by Abdul Salam Muhammad Haroon, Arab Writers Union, 1423 AH - 2002 AD.

.52 Mafatih Al-Ghayb: Muhammad bin Omar bin Al-Hassan Al-Razi (d. 606 AH), 3rd ed., Dar Ihya' Al-Turath Al-Arabi – Beirut, 1420 AH.

.53 Nathm Al-Durar in the Correlation Between Verses and Surahs: Ibrahim bin Omar bin Al-Baqai (d. 885 AH), edited by Abdul Razzaq Ghalib Al-Mahdi, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya – Beirut, 1415 AH - 1995 AD.

.54 Al-Waseet in the Interpretation of the Glorious Quran: Ali bin Ahmed bin Muhammad Al-Wahidi (d. 468 AH), edited by Adel Ahmed Abdul Mowjood and others, 1st ed., Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, Beirut, Lebanon, 1415 AH - 1994 AD.

Anticipation in the Noble Quran (Its Uses, Contexts, and Its Educational and Faith-Based Benefits)

Assist Prof Dr. Hassan Ali Abdul Mahl Al -Fraji

College of Arts -Anbar University

hasan.ali@uoanbar.edu.iq

Keywords: Anticipation, contexts, uses

Summary:

The main focus of the research is on studying the term "anticipation" in the Quran, analyzing its various meanings and uses. The aim is to highlight the beauty and hidden aspects of this word, which can sometimes be elusive. The study shows that the Quran uses this term in different contexts, such as warning and threat, reproach, gathering news, and waiting. It also serves as a tool for spiritual and educational guidance, which enhances its impact on shaping the believer's character and behavior.